

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار: تاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص مغرب حديث ومعاصر

الموسومة بـ:

المشروع الثقافي الاستعماري اللغوي في الجزائر وانعكاساته
على الهوية الوطنية 1830 - 1914م.

إشراف الدكتور:

بكري عبد القادر

من إعداد الطالبتين:

• بولعراس فضيلة

• بن عيسى نزيهة

الصفة	الاسم واللقب
رئيساً	• بليل محمد
مشرفاً	• بكاري محمد القادر
مناقشاً	• جمال حسنة

الموسم الجامعي:

(1439-1440هـ) الموافق لـ (2018-2019م).

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة ابن خلدون - تيارت -

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

مسار: تاريخ

مذكرة تخرج مقدمة لنيل شهادة الماستر تخصص مغرب حديث ومعايير

الموسومة بـ:

المشروع الثقافي الاستعماري اللغوي في الجزائر وانعكاساته
على الهوية الوطنية 1830 - 1914م.

إشراف الدكتور:

بكري عبد القادر

من إعداد الطالبتين:

• بولعراس فضيلة

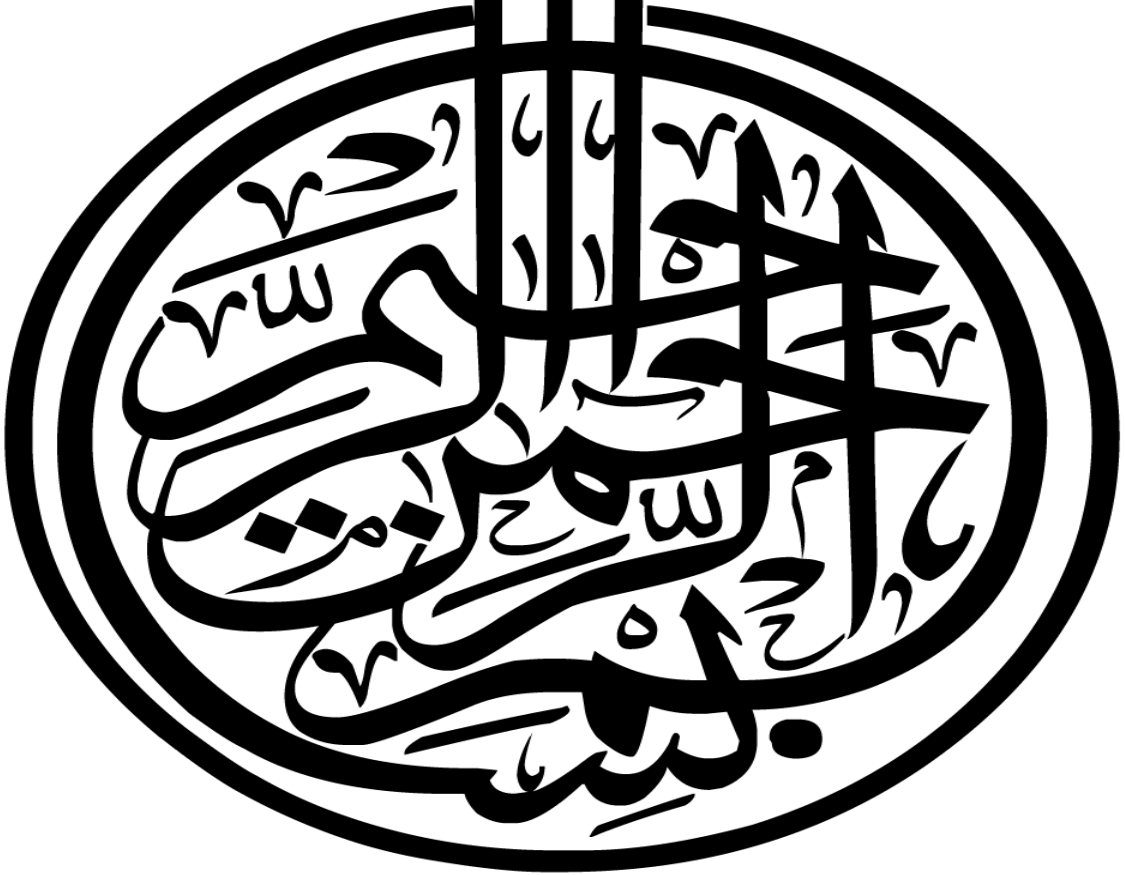
• بن عيسى نزيهة

الاسم واللقب	الصفة
• بليل محمد	رئيساً
• بكاري عبد القادر	مشرفاً
• كمال حسنة	مناقشاً

الموسم الجامعي

(1439-1440هـ) الموافق لـ (2018-2019م).

لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ



شكر و عرفان

قال رسول الله صلى الله عليه و سلم : {مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ } .

صدق رسول الله صلى الله عليه و سلم .

الحمد لله على إحسانه و الشكر له على توفيقه و امتنانه و نشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له تعظيما لشأنه و نشهد أن سيدنا محمد عبده و رسوله الداعي إلى رضوانه صلى الله عليه و على اله و أصحابه و أتباعه و سلم.

بعد شكر الله سبحانه و تعالى على توفيقه لنا لإتمام هذا البحث المتواضع أتقدم بجزيل الشكر للوالدين العزيزين الذين أعانوني و شجعوني على الاستمرار في مسيرة العلم و النجاح و اكمال الدراسة الجامعية و البحث كما أتوجه بالشكر الجزيل إلى من شرفني بإشرافه على مذكرة بحثي الأستاذ الدكتور بكاري عبد القادر الذي لن تكفي حروف هذه المذكرة لإيفاء حقه بصبره الكبير علي و لتوجيهاته العلمية التي لا تقدر بثمن و التي ساهم بشكل كبير في اتمام و استكمال هذا العمل إلى كل أساتذة قسم العلوم الانسانية كما أتوجه بخالص شكري و تقديرى الى كل من ساعدني من أصدقائي

{رَبِّي أَوْزَعَنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتِكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَ عَلَى وَالِدَيَّ وَ أَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَ أَخْلَنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ } .

الطالبتان : بولعراس فضيلة

بن عيسى نريهة.

إهداء

أحمد الله عز و جل على منه و عونه لإتمام هذا البحث .

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل
المبتغى، الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات جسام

مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمر .

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني
حق الرعاية و كانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعني خطوة خطوة في عملي، إلى من ارتحت كلما
تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان أمني أعز ملاك على القلب و العين جزاها الله عني خير

الجزء في الدارين،

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع أدخل على قلبهما شيئا من السعادة إلى إخواني و أخواتي

والذين تقاسموا معي عبء الحياة

كما أهدي ثمرة جهدي إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية و الاجتماعية و إلى كل من يؤمن أن

بدور نجاح التغيير هي في ذواتنا و أنفسنا

و إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل

الطالبة : بولعراس فضيلة

إهداء

أحمد الله عز و جل على منه و عونه لإتمام هذا البحث .

إلى الذي وهبني كل ما يملك حتى أحقق له آماله، إلى من كان يدفعني قدما نحو الأمام لنيل

المبتغى , الإنسان الذي امتلك الإنسانية بكل قوة، إلى الذي سهر على تعليمي بتضحيات

جسام مترجمة في تقديسه للعلم، إلى مدرستي الأولى في الحياة

أبي الغالي على قلبي أطال الله في عمره .

إلى التي وهبت فلذة كبدها كل العطاء و الحنان، إلى التي صبرت على كل شيء، التي رعتني

حق الرعاية و كانت دعواها لي بالتوفيق، تتبعني خطوة خطوة في عملي , إلى من ارتحت كلما

تذكرت ابتسامتها في وجهي نبع الحنان أُمي أعز ملاك على القلب و العين جزاها الله عني خير

الجزء في الدارين،

إليهما أهدي هذا العمل المتواضع أدخل على قلبهما شيئا من السعادة إلى إخواني و أخواتي

والذين تقاسموا معي عبء الحياة

كما أهدي مرة جهدي إلى كل أساتذة العلوم الإنسانية و الاجتماعية و إلى كل من يؤمن أن

بدور نجاح التغيير هي في ذواتنا و أنفسنا

و إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .

الطالبة : بن عيسى نزيهة

حقائق

تعد المدرسة كل الأساس التقدم في المجتمع، وإذا كانت كذلك في الأمور العادية، فهي عامل من عوامل التجهيل، عندما تصبح إحدى أدوات العمل استعماري، فمنذ وقوع الجزائر في قبضة الاستعمار الفرنسي، لم تبقى الأوضاع على حالها، بل شهدت تغييرات جذرية، ويلاحظ الوضع الثقافي الذي عرف تدهوا كبيرا من حيث تحويل المساجد والمدارس، إلى كنائس وإسطبلات، كما قامت بمصادرة أموال الأوقاف عن طريق مراسيم وقرارات، سنتها الإدارة الاستعمارية، ولجأت إلى بناء مدارس ومعاهد لتعليم الجزائريين اللغة الفرنسية.

كان فهم الإدارة الاستعمارية يتمثل في غزو الجزائر فكريا، بعد أن تم غزوها وإخضاعها عسكريا عن طريق المدرسة الاستعمارية، وقد أسندت قادة الاحتلال المدرسة مهمة خطيرة، تمكن في تحطيم الروح المعنوية للجزائريين، هذه المدرسة التي أطلقوا عليها اسم الغزو الفكري الاستعمال الغزو العسكري، وبذلك لما تملكه المدرسة وبرامجها من وسائل إقناعية قادرة على تحقيق سياسة الاستعمار ومخططاته في القضاء على الشخصية العربية الإسلامية للجزائر.

وفي هذا الإطار أثار موضوع المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري في الجزائر، وانعكاساته على الهوية الوطنية 1830-1914 اهتمامنا وفضولنا العلمي، ولعل أهم ما ميز الحياة الثقافية في هذه الحقبة هو التعليم الذي يعد عاملا أساسيا للازدهار الحركة الفكرية حيث زخرت الجزائر بعدد من الحواضر والمراكز الثقافية التي كان لها دور كبير في تنشيط الحراك التعليمي.

وتكمن أهمية هذا الموضوع، في تسليط الضوء، على تاريخ الجزائر الثقافي، ومعرفة موقف الإدارة الاستعمارية من الهوية الوطنية.

ولمعالجة هذا الموضوع قمنا بصياغة الإشكالية التالية: هل نجح المشروع الثقافي اللغوي

الاستعماري في القضاء على الهوية الوطنية الجزائرية؟

وتتفرع هذه الإشكالية إلى عدة فرضيات تتمثل فيما يلي:

- كيف كانت حالة التعليم في العهد العثماني؟
- ما موقف الإدارة الاستعمارية من الدين الإسلامي واللغة العربية؟
- ما هي الإجراءات التي اتبعتها الإدارة الفرنسية في القضاء على الهوية الوطنية؟
- فيما تمثلت ردود فعل الشعب الجزائري إزاء السياسة التعليمية الفرنسية؟
- ما مدى تأثير المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري وانعكاساته على الهوية الوطنية الجزائرية؟.

أن اختيارنا لموضوع السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر، لم يكن وليد الصدفة، بقدر ما هو محاولة للكشف عن مظهر من مظاهر الاستعمار الفرنسي في الجزائر، لأن معظم الباحثين، خلال دراستهم يتناولون كل الجوانب كانت عسكرية أو اقتصادية أو سياسية، متناسين الجانب الثقافي، الذي بدوره يصعب فهم هذا الاستعمار عن حقيقته، لأن أساس بناء الاستعمار يتمثل في الجيش وأخيرا المدرسة التي اعتبرها مخططوا الاستعمار آخر مرحلة وأكثرها نجاحا في البناء، أيضا من أساليب اختيارنا لهذا الموضوع يعود لاعتبارات ودوافع موضوعية علمية منها: أن سنة 1880 شكلت منعطفًا كبيرًا في حياة الجزائر الثقافية من حيث تعليم الجزائريين أو عدم تعليمهم كما أن اختيارنا لسنة 1914 هي نهاية المشروع المدارس التي اقترحتها المدارس الفرنسية.

وللإجابة على الإشكالية المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي الوصفي والذي أفادنا في معرفة تسلسل الأحداث ووصف الوقائع التاريخية و المنهج التاريخي التحليلي الذي أفادنا في تحليل وتفسير المنتج العلمي.

ولإلمام بهذه الدراسة اتبعنا خطة بحث انطوت على مقدمة وثلاث فصول وخاتمة وملاحق وبيبلوغرافيا متنوعة فالمقدمة تم من خلالها الإحاطة بالموضوع صياغة إشكالية البحث .

أما الفصل الأول فعنوانه بالأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي والذي تناولنا فيه المؤسسات التعليمية في الجزائر خلال العهد العثماني والتي منها: المساجد، الكتاتيب، الزوايا، النماذج عن علماء تلك الفترة.

أما في ما يخص الفصل الثاني تناولنا فيه المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري في الجزائر إن قمنا بتقسيمه: المبحث الأول: موقف الاحتلال من اللغة العربية والثقافة العربية أما الثاني كان بعنوان الأهداف والوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر.

في حين انطوت ثانيا الفصل الثالث الذي اخذ عنوانه المقامة الثقافية للمشروع الاستعماري وانعكاساته على الهوية الوطنية.

أما الخاتمة فتوصلنا فيها إلى عدة نتائج و خلاصات شاملة لموضوع الدراسة، حوصلت كل ما تم معالجته في هذا العمل.

أيضا مجموعة من الملاحق تجلت في جداول وصور توضح لنا أهم المساجد في الجزائر إبان هذه الفترة وأخرى تبين لنا أهم المساجد التي قضت عليها سلطات الاحتلال.

للإتمام هذه الدراسة اعتمدنا على جملة من المصادر والمراجع المتنوعة:

كتاب حمدان بن عثمان خوجة: " المرأة" أفادنا في معرفة دور العلماء في التعليم أثناء الفترة العثمانية.

شارل رويير آجرون، تاريخ الجزائر المعاصر استخدمناه انعكاسات سياسة التبشير على الجزائريين، أما بالنسبة مذكرات وليام شالر، فساعدنا في معرفة طريقة تدريس في أطوار التعليم.

أما بالنسبة لكتاب عبد الكريم الفكون فأفادنا هذا الكتاب في معرفة أهم العلماء ودورهم في الحياة العلمية أثناء الفترة العثمانية.

وكتاب أحمد مريوش في كتابه دراسات أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر ساعدنا في معرفة دور المقامة الثقافية في الرد على السياسة التعليمية .

أما بالنسبة لكتاب عبد القادر حلوش المعلون بسياسة فرنسا التعليمية في الجزائر هذا الكتاب أفادنا في معرفة وسائل وأهداف فرنسا في القضاء على الهوية الوطنية.

كتاب التركي رابح بعنوان التعليم القومي والشخصية الجزائرية ساعدنا في معرفة انعكاسات المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري.

وكما هو معروف بالنسبة لكل دراسة تاريخية هناك مجموعة من الصعوبات والعراقيل التي واجهتنا في إعداد هذه الدراسة ولعل من بينها:

- ضيق الوقت المخصص لإنجاز هذه المذكرة.
- عدم استخدامنا المراجع باللغة الأجنبية.

الفصل الأول : الأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل

الاحتلال الفرنسي.

– المبحث الأول : أوضاع المؤسسات التعليمية في

الجزائر .

– المبحث الثاني : دور العلماء و الوقف في تنشيط

الحياة التعليمية .

إن الثقافة هي الركيزة الأساسية التي تبنى عليها مقومات وهوية أي مجتمع، فالثقافة عن المسلمين هي معرفة المقومات الأمة الإسلامية والعامة بتفاعلاتها الماضي والحاضر، من دين وتاريخ وحضارة وقيم وأهداف مشتركة أما الثقافة عند الأوروبيين فهي فهم السلوك الإنساني وانساق المعتقد والقيم والإيديولوجيات. فقد وصفها مالمينوفسكي بالأداة الفعالة التي تنقل الإنسان إلى وضع أفضل يواكب المشاكل والأطروحات الخاصة التي تواجهه في المستقبل.

المبحث الأول: أوضاع المؤسسات التعليمية في الجزائر.

ارتبط التعليم في الفترة العثمانية بالأفراد والعائلات والمؤسسات الخيرية الحرة، بينما ضل دور الدولة العثمانية هامشيا إذ لم يكن لها أي دخل ولا إشراف على هذا الميدان التربوي، فلم تكن توجد مؤسسة حكومية خاصة بالتعليم كما نعرف اليوم كوزارة أو مديرية أو أي مؤسسة حكومية رسمية تختص وتعتني بشؤون الميدان الثقافي والتربوي من حيث من حيث تحضير المدرسين، وتنظيم التلاميذ ووضع البرامج الدراسية لذلك.¹

لكن الدولة العثمانية إذ لم تولي اهتماما وعناية بشؤون التعليم والتربية فهي من ناحية أخرى لم تعمل على عرقلة ومحاربة التعليم الخاص أي التعليم العربي الحر، الذي انتشر انتشارا أو واسعا في هذه الفترة قبيل الاحتلال الفرنسي بشهادة الفرنسيين أنفسهم ويمكن أن نسمي موقفها هذا إزاء التعليم بالحياء الإيجابي.

لقد كانت هموم الدولة العثمانية واهتماماتها منحصرة في المحافظة على الاستقرار السياسي والأمن الداخلي و الدفاع عن الحدود وجمع الضرائب.²

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج 1، دار الغرب الإسلامي، ط 1، بيروت، 1998، ص 223.

² - عبد القدر حلوش، السياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 26.

كانت معظم المؤسسات الثقافية في الجزائر كالمسجد¹ والمدرسة، الكتاتيب والزاوية تقوم بمهمة التعليم وتشرف على تلامذته وبرامجه، وكانت أكبر مؤسسة تغذي هذه المؤسسات الثقافية هي الأوقاف. ومن أهم أغراض هذه الأوقاف هو العناية بالمساجد والمدارس والزوايا.²

تظهر أهمية الوقف في انه مصدر نمو للمؤسسات الثقافية ومعيشة العلماء والطلبة، ومن جهة أخرى لعب الوقف دورا بارزا في الحياة الاجتماعية بتضامن المجتمع وترابطه وتوزيع ثرواته على فقرائهم، وتتضح أهمية مؤسسة الوقف في الجزائر خلال العهد العثماني فقد كانت تؤدي وظائف عديدة أهمها خدمة الدين والتعليم.³

1 / الزوايا :

من ابرز مميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الزوايا، فالزوايا عبارة عن مجتمعات من البيوت والمترل مختلفة الأشكال والأحجام تحتوي على بيوت للصلاة كالمساجد وغرف لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم العلوم العربية الإسلامية.⁴

مؤسسو هذه الزوايا رجال الدين متصوفون، فكانت كل مدينة كبيرة أو صغيرة محروسة بولي من الأولياء فهو الذي يحميها من العين و الغارات، فهناك صلحاء تلمسان ومدينة الجزائر، ومدينة قسنطينة ، فقد اشتهرت تلمسان ونواحيها بزوايا منها: زاوية سيدي بومدين زاوية سيدي الطيب، زاوية محمد السنوسي وغيرها من الزوايا .

¹ - المسجد: هو تحريف بربري لكلمة المسجد والتميز لتباين المقصدين فالمسجد هو محل الصلاة وهو ايضا للتعليم، ينظر: عثمان كعك، مراكز الثقافة في الغرب من القرن 16 الى 19، معهد الدراسات العالية، 1958م، ص 26.

² - عبد القادر حلوش: المرجع نفسه، ص 26.

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1800-1830)، ج 1، المرجع السابق، 224.

⁴ - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر العرب، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 214.

تعتبر منطقة الزواوة وبجاية من اغني مناطق الجزائر بالزوايا فقد تصل فيها إلى خمسين زاوية كان هدفها نشر التعليم والوعي الديني بين السكان .¹

فقد أثبتت الدراسات إن عدد الزوايا والأضرحة ونحوها كان يفوق عدد المساجد والمدارس فقد كان بتلمسان ونواحيها أكثر من ثلاثين زاوية في أواخر العهد العثماني .² أيضا قامت الزوايا بمختلف أشكالها وأنواعها أدوارا في الحياة الدينية والثقافية ، فقد اهتمت بتحفيظ القرآن الكريم ونشره بصورة مكثفة في الأجيال الإسلامية المتعاقبة ، لأن الزوايا مثلت مخازن ودواوين للكتب والمخطوطات في مختلف العلوم وعملت على إزالة الفوارق الاجتماعية بين الفئات الاجتماعية لقوله تعالى " إن أكرمكم عند الله اتقاكم " .³

أيضا في الريف قامت الزوايا بدور أكثر ايجابية إذ يظهر هذا الدور في التعليم على الخصوص، فقد كانت بالإضافة إلى وظيفتها الدينية معاهد لتعليم الشباب والتنوير، ومن أهم ما كان يميز بعض الزوايا كونها ملجأ يلجأ إليه الهاربون من العقاب والقتل مهما كانت جرائمه فقد كان الولاة والعامّة يعتقدون في حصانة حمى الزاوية والضريح ويكفي أن يهرب الحمى فلا يلحق به أحد .⁴

ظاهرة التعليم في الزوايا ليست خاصة بالريف، ففي المدن أيضا كانت بعض الزوايا تقوم بدور ايجابي في نشر التعليم بجميع مستوياته، ويمكن أن نظيف كذلك زاوية الشيخ " بن علي المجاجي " الواقعة قرب تنس والتي اشتهرت بكونها زاوية ومدرسة ورباطا .⁵

¹ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1800-1830)، ج 1، المرجع السابق، 266.

² - مارسيل إمريت: الجزائر في عهد الأمير عبد القادر. l'Algérie à l'époque d'abd- el kader، ص 156.

³ - سورة الحجرات، الآية 13.

⁴ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، المرجع السابق، 266.

⁵ - يحي بوغزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، المرجع السابق، ص 266.

2 / المساجد :

تعتبر المساجد من أهم المؤسسات الدينية و نواتها وترتكز وظيفتها الأساسية في الصلوات وتحفيظ القرآن وتعليم الفروض المختلفة¹. وكثيرا ما يختلط على الباحث اسم الجامع والمسجد والزاوية ذلك أن بعض الجوامع والمساجد كانت تابعة لزوايا معينة².

التداخل ليس في الاسم فقط بل الوظيفة أيضا، فالجوامع والمساجد كانت للعبادة والتعليم، فالجامع اصطلاحا اكبر حجما من المسجد فهو الذي تؤدي فيه الصلاة الجامعة أو الجمعة وكثيرا ما يسمى جامع الخطبة وبعض هذه الجوامع كانت تسمى بالجامع الكبير أو الأعظم فالجوامع والمساجد في الغالب غير منسوبة إلى الأولياء والصلحاء، بل هي منسوبة إلى مؤسسيها والسياسيين والتجار والعسكريين ونحوهم³.

فالمسجد والجامع كان لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم الفروض الدينية ومختلف العلوم الأخرى المتعلقة بحياة المسلمين⁴. ويعتبر المسجد أيضا منارة العلم والحضارة ومكان العبادة وجمع المسلمين ومنشطهم ومركزا أساسيا للحياة الدينية والثقافية والعلمية وهو قلب القرية في الريف وروح الحي في المدينة، و كانت تنتشر حوله المساكن وأسواق⁵.

¹ - محمد بن ميمون الجزائري: التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر الحمية ترجمة محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1792، ص 59.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج 1، المرجع نفسه، 245.

³ - المرجع نفسه، ص 246.

⁴ - أحمد مريوش: الحياة الثقافية في الجزائر خلال العهد العثماني، المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة أول نوفمبر 1954، ص 12.

⁵ - أبو راس الناصري: عجائب الأسفار ولطائف الأخبار، ترجمة محمد بوركبة محمد، ج 1، الجزائر، 2012، ص

وتتعدد تسميات المساجد كثيرا في الجزائر فمنها ما يسمى باسم مؤسسها ومنها ما أطلق عليه اسم الشخص المشرف عليه ومنها ما يسمى باسم الولي الصالح الذي دفن بقربها، كانت

ذات أشكال بسيطة لا تحمل أي مظهر للزخرفة ، وكانت لها منارات وصوامع ذات قواعد مربعة مبيضة بالجير.¹

كما أن بعض الجوامع كانت تنسب إلى الأحياء الواقعة فيها مثل جامع باب الجزيرة وجامع سوق اللوح، أما عن تخطيط هذه المساجد فقد كانت مستطيلة الشكل، اذ نجد مسجداً مهمان هما مسجد كتشاوة ومسجد السيدة أما المساجد الصغيرة فقد كانت في الغالب مباني بسيطة الشكل.²

أما بالنسبة لموظفي هذه المساجد فقد كان هناك وكيل يشرف على إدارة ممتلكات المؤسسة، وتتمثل وظيفته في قبض واردات الإيجار وإنفاق على المساجد.

أما الجانب الديني فقد كان هناك إمام يصلي بالناس الصلوات الخمس وخطيب يلقي خطبة الجمعة.³

تقسم المساجد من حيث تأسيسها وأدوارها إلى عدة أقسام منها ما أسسه الخلفاء والأمراء والولاة وهو جزء من عملهم الوظيفي اتجاه المسلمين مثل : جامع ابن مروان وصالح باي، وجامع الباي بقسنطينة، الجامع الكبير بالعاصمة، وقسم آخر أسسه الأثرياء لكسب أو

¹ - مصطفى بن حموش: مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010، ص 20.

² - المرجع نفسه، ص 20.

³ - مصطفى بن حموش: المرجع نفسه، ص 21.

التقرب لله مثل جامع سيدي الأخضر بقسنطينة، سيدي عبد الرحمن الثعالبي بالجزائر، سيدي هواري بوهران¹.

3 / الكتابيب :

وظيفتها تحفيظ القرآن الكريم للأطفال وترتيله له وقد دعت الحاجة إلى تأسيسها من أجل تجنب المساجد أوساخ الأطفال و ضوضاءهم والاحتفاظ بنقاوتها وطهارتها وهذه الكتابيب أحيانا بيوت منفردة وأحيانا مجمعات من البيوت مختلفة الأحجام والإشكال وغاية من تأسيسها حفظ القرآن الكريم للارتزاق والحصول على لقمة العيش ويطلق عليها في الجزائر الوسطى " المسيد "².

ويزدحم الأطفال حولهم ذكورا وإناثا من مختلف الأعمار يجلسون على الأرض فوق الحصائر والسجاجيد ف يشكل دوائر نصفية فيملون عليهم أجزاء من القرآن الكريم، ومعظم هذه الكتابيب بسيطة المظهر والمبنى وقليلة الإمكانيات المادية وأصحابها من " الطلبة والمشايع " ومن الطبقة الفقيرة جدا والكادحة يتصدون لتعليم القرآن في هذه الكتابيب للحصول على لقمة العيش أساسا ويستعملون العصي لتأديب الأطفال ومن ضمن هذه الكتابيب في حي القصبة بالجزائر العاصمة نجد: مسيد برقيصة، مسيد سيدي بوقدور وضريحه، مسيد الحمامات مسيد جامع سفير³.

¹ - مصطفى بن حموش: المرجع نفسه، ص 21.

² - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، ج 1، المرجع السابق، ص 212.

³ - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص 218.

رغم المظهر المزري أحيانا لهذه الكتابات القرآنية وفقراء أصحابها والأساليب العتيقة المختلفة، فإن دورها هام جدا في المحافظة على القرآن الكريم وعلى الطابع الإسلامي للجزائر شكلا ومضمونا.¹

4 / الطرق الصوفية:

من أبرز ميزات العهد العثماني في الجزائر انتشار الطرق الصوفية وكثرة المباني في المدن والأرياف، حيث عاش معظم المتصوفة يبحثون عقائدهم ويلقنون أتباعهم الأذكار والأوراد ويصبح اسم المتصوف علما على المكان يدعى بين الناس زاوية سيدي فلان.² ورث التصوف في الجزائر شيوخ عديدون. أصبح الكثير منهم أقطابا وزعماء مدارس صوفية، ومن أبرزهم بن يوسف الراشدي دفين مليانة وأحمد أفغول، ومحمد بن شاعة ومحمد الواتي البجائي ومحمد بن عمر الهواري وأحمد بن عبد الله، ومحمد بن يوسف وعبد الرحمن الثعالبي.

ولقد كثرت الزوايا وانتشرت الطرق الصوفية بالجزائر في العصر الحديث بصورة خاصة وقوي نفوذها الديني وتأثيرها الثقافي، لأن العثمانيين الذين كانوا يحكمون البلاد سبق لهم أن خضعوا للطرق صوفية بآسيا الصغرى قبل أن يصلوا إلى الجزائر.³

تنقسم الطرق الصوفية بالجزائر إلى الخلواتي ويدعى شيوخها المصرفة بأسرار دينية وغيبية خاصة والقدرة على تلقينها لأتباعهم الذين يدعون بالمردين. وهكذا ظاهرة الخلوة والورد هي التي استوجبت تسمية شيوخ هذه الطرق الخلواتية. والثاني يدعى غير الخلواتي ولا يدعى شيوخها معرفة أسرار دينية معينة ولكن يتخذون لأنفسهم وأتباعهم وردا معيناً

¹ - نفسه، ص 343.

² - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، المرجع السابق، ص 343.

³ - المرجع نفسه، ص 343.

من الأذكار والصلوات ويتلوها وراء الصلوات. ويتصدرون لتحفيظ القرآن الكريم للأطفال ومن هذا النوع التجانية التي تفرض على أتباعها ذكر تلاوة ما يعرف بالهيكله¹.

وهو ترديد لكلمة: " لا إله إلا الله " عدة مئات من المرات، فقد لعبت الطرق الصوفية دورا هاما ورائدا في التعليم القرآني ونشر الثقافة العربية الإسلامية ومحو الأمية والجهل ومن أشهر الطرق الصوفية نجد:

- الشاذلية : 658هـ - 1218هـ .

- العيساوية : 936هـ - 1529هـ .

- القادرية..... وغيرها وعليه فالجزائر خلال العهد العثماني كانت غنية بالمرابطين والطرق الصوفية². لكن مرابطيها قد ابتعدوا شيئا فشيئا عن العلم والعمل به وإقتربوا في أغلبهم من التدجيل والخرافة، ولم تكن ليهم فلسفة في التوحيد ولا عقيدة واضحة في الدين وكل ما كانوا يفعلونه هو بناء الزوايا وإداء الكرامات وإعطاء العهد، والأوراد وتلقين الأذكار وجمع المال والهدايا وقليل منهم من سلك طريق الزهد والتصوف لله وعاش لدينه وعمله ومعظم الطرق الصوفية كانت نسخة مكررة لبعضها³.

¹ - يحيى بوعزيز: المرجع السابق، ص 232.

² - يحيى بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب المرجع السابق، ص 233 .

³ - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، المرجع السابق، ص 264.

5 / أنواع التعليم بالجزائر خلال العهد العثماني بمرحلتين:

أ - المرحلة الابتدائية:

لقد كثرت في الجزائر المدارس الابتدائية القرآنية وكانت منتشرة في جميع القطر ولا تخلو منطقة من وجودها. هذا ما جعل الذين يزورون الجزائر في العهد العثماني يشيدون بكثرة المدارس وانتشار التعليم وانخفاض نسبة الأمية.¹

حيث كانت نسبة الأمية في الجيش الغازي تبلغ حوالي 45% حيث أن معظم جنوده كانوا من سكان الريف الفرنسي الذين تنتشر الأمية بينهم. أما عدد الجزائريين القادرين على القراءة والكتابة فيفوق نسبة 55% واشتهرت تلمسان بمدارسها فالفرنسيون وجروا بها عند الاحتلال حوالي 50 مدرسة ابتدائية وثلاثة معاهد للتعليم الثانوي³. أما عدد المدارس الابتدائية بمدينة قسنطينة نجد حوالي 90 مدرسة مع 7 مدارس للتعليم الثانوي والعالي. وكانت بالجزائر العاصمة عند دخول الفرنسيين بها حوالي 1000 مدرسة بين ابتدائية وغيرها.

- كانت الكتاتيب هي أساس التعليم الابتدائي ويطلق عليها ولا سيما في المدن إسم المسيد أو الجامع، وهي مخصصة عادة لتحفيظ القرآن الكريم وتعليم مبادئ القراءة والكتابة للأطفال.

- كانت المدرسة تسمى الشريعة ويسمى المدرس بالمشارط أو الدرار.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص28.

² - Turin Yvonne, *Affrontement culturel dans l'Algerie Coloniale (1830-1880)*, Houma, Alger, 2007, P.27

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، الجزء الأول، المرجع السابق، ص276.

ب - مرحلة التعليم الثانوي:

فكان التعليم فيها يزاول في بعض المدارس التي بناها محبو العلم وأنصاره من الحكام والأعيان والتي كانت ممولة من طرف الزوايا والكتاتيب¹.

أما عن مؤسساته فكانت المساجد فضاءات لحلقات الدروس اليومية تلقى فيها العلوم التي كانت متداولة بين عامة الناس في ذلك العهد وقد ارتكز اهتمامهم على التعليم بمختلف مراحلها، أما الكتاتيب فكانت بمثابة المدرسة في عصرنا الحالي يشرف عليها معلم غالباً ما يعرف بالشيخ².

بخصوص الزوايا فكان لانتشارها عبر القطر الجزائري انعكاساً على مستوى التعليم الأعلى منه، فهي عبارة عن مدرسة القرية تقام تخليداً لأحد المرابطين ويقام بجانبها جامع للصلاة والوضوء وتخصص الأرض لهذه الزوايا الريفية فيحرفها الأهالي ويستعمل دخلها لمساعدة المدرسين والطلبة ويخصص أهل الخير من محصولهم السنوي للزاوية التي توجد في منطقتهم وهذه الأخيرة شهدت تعليم جيد بفضل وجود أساتذة أكفاء ذوي معرفة واسعة في شتى الميادين العلمية³.

وكانت أهداف التربية والتعليم قبل الاحتلال الفرنسي مركزة على نشر التعليم بين فئات المجتمع الجزائري من أجل معرفة كل ما يتعلق بدينهم لإعداد رجال يتولون تسيير شؤون الدولة في مختلف القطاعات.

طلب العلم حبا في العلم قوله تعالى: {يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ}⁴.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص30.

² - حسان صبحي، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر (1830-1962)، ط01، الجزائر، 2005، ص22.

³ - حسان صبحي، المرجع نفسه، ص23.

⁴ - سورة المجادلة: الآية 11.

6 / وسائل التعليم:

لا يمكن أن يقوم التعليم إلا إذا توفرت فيه الشروط والوسائل الضرورية كالعناصر البشرية والمادية.

كانت حركة المعلمين داخل الجزائر جد نشطة ومستمرة، ذلك تكوين المعلمين لم يكن له مدرسة أو مدينة، فقد كانت شهرة المعلم أو المدرس هي التي تحدد مكانته¹. وكان الطلاب يقصدون المدرس المشتهر أينما حل وأينما وجد ولو كان ذلك بعيداً وكان أولياء التلاميذ هم الذين يختارون مؤدب أطفالهم. وكان من حقهم ومن صلاحياتهم إعفاء المؤدب من وظيفته إذا اشتبه فيه علمياً أو أخلاقياً خاصة لأنهم هم الذين يعينون المعلم لمهمته التربوية العلمية ومن هنا. فالمؤدب يخضع لرقابة أولياء التلاميذ والرأي العام شديد الملاحظة².

كان التعليم عند بعض الرجال التصوف وخصوصاً في الريف نوعاً من العبادة والجهاد³. أما أجور هؤلاء المدرسين فكانوا يتلقونها في شكل هدايا وصدقات كالحلوى والملابس في المناسبات معينة. كشهر رمضان، العيدين، عاشوراء، وكانت الأوقاف تنص على شراء الزيت للإضاءة وتوفير الماء للشرب والطهارة. وأجرة الموظفين ونحوها، وكان بعض المدرسين والأساتذة يتولى أيضاً وظائف أخرى غير التعليم والتدريس كوكالة الوقف والإمامة والخطابة والقضاء والإفتاء⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500 - 1830م)، ص 323.

² عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 31.

³ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 329.

⁴ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 31.

كان المعلمون بهذا يجنون أموالاً هامة وكانت رواتبهم السنوية من الأوقاف ما بين 100 و 200 فرنك. وكان المؤدب يأخذ حوالي 30 فرنك في الشهر على كل طفل ويضاف إليها منح المكافآت الإضافية والوظائف الأخرى التي كان يقوم بها في المسجد كما كان محل تقدير واحترام من الناس.¹

أما التلاميذ في هذه المؤسسات الثقافية فكانت أعمارهم تتراوح ما بين 6 و 10 سنوات وفي السنة الأخيرة، فيكون التلميذ قد ختم القرآن الكريم مرة أو عدة مرات وتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين والسلوك ومبادئ الحساب، أما مدارس قسنطينة وتعلم القراءة والكتابة وقواعد الدين والسلوك ومبادئ الحساب، أما مدارس قسنطينة فكان تلامذتها 1350 تلميذ. ونفس العدد موجود في العاصمة و بهذا فإن الأطفال في سن الدراسة كانوا يجدون مقاعدتهم في هذه الكتاتيب، أما الأطفال الإناث فكان تعليمهم شبه معدوم في المدن الكبرى والعائلات المتنفذة هي التي كانت تستحضر شيوخاً مدرسين لتوكيل إليهم أمر تعليم بناتهم²

ويذكر وليام شالر، أن البنات يتعلمن في المدارس من نفس نوع مدارس الذكور، تشرف على إدارتها نساء، ويشمل تعليم القراءة والكتابة وبعض من القرآن الكريم وقواعد الدين.³

أم فيما يخص البرامج التعليمية ومناهج وطرق التدريس فقد كان التعليم في المرحلة الابتدائية يقتصر على تعليم القراءة والكتابة وانتقاءها تمهيداً لحفظ القرآن ثم تعليم المبادئ الأساسية والأولية للحساب. فإذا أتم الطفل ذلك ينتقل إلى التعليم في المرحلة الثانوية. وكانت طريقة التدريس في التعليم الإبتدائي بسيطة بساطة التعليم نفسه. فالمؤدب كان يجلس

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص31.

² - نفسه، ص32.

³ - وليام شالر، (مذكرات وليام شالر قنصل أمريكي في الجزائر) 1816-1824، تقديم وتعريب إسماعيل العربي،

الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1982، ص.82.

في صدر الكتاب متربعا على حصير مسندا ظهره إلى الجدار ويده عصا طويلة يستعين بها لحفظ النظام.¹

وكان التلاميذ يتحلقون حول المؤدب في نصف دائرة ويبد كل واحد لوحة من خشب يمكن الكتابة عليها ومحو ما كتب بسهولة وعلى كل لوحة تكتب بوضوح سورة من القرآن. ثم يقوم بقية التلاميذ بنقلها بعناية كل على لوحته، هكذا كان التعليم وطرقه التربوية جيدة ومتناسبة مع بساطة التعليم ومادته الثقافية. تراعي تطور قدرات التلميذ على القراءة والكتابة لأنها تجعله يتعلم الطريقتين في آن واحد. ودوام المدرسة يستمر يوميا صباحا ومساءً وكان التعليم يعتمد أساسا على ملكة الحفظ. وكذلك على الذاكرة وشحذ حسي السمع، وتوطيد العلاقة على الامتثال لمن هو أعلى مرتبة وسنا.²

أما برامج التعليم الثانوي المرحلة وقد تخضع لإرادة المدرس فهو الذي يضع البرامج الدراسية ويحدد أوقات التدريس وفقا لأوقاته الفارغة وتتميز دروس المرحلة الثانوية والعالية بالشرح والتفصيل والإملاء وهي نوعان علوم نقلية وعلوم عقلية، فالعلوم النقلية تشتمل على التفسير، الحديث والفقه وأصوله والعلوم المتصلة بالقرآن الكريم والحديث الشريف، أما العلوم العقلية فتشتمل على القواعد، البلاغة، المنطق، علم التوحيد والفلسفة والحساب وعلم الفلك وعلم التاريخ.³

ولم تكن هناك مقررات وبرامج محددة على الطلبة يدرسونها في كل عام. وإنما يرجع ذلك إلى اجتهاد المدرس ونشاطه. فهو الذي يحدد الدروس للطلبة ويختار التي تلائمهم. وكانت المناهج الدراسية تحدد في شكل كتب. ولم تكن هناك امتحانات سنوية أو فصلية

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص33.

² - عثمان كعك، المرجع السابق، ص69.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص33.

لاختيار إمكانيات التلميذ أو الطالب، وإنما يواصل الطلبة دراستهم على من يشاءون ويودون¹.

ولا يكون التعليم نشطاً ومتطوراً وإذا لم يتوفر على مجموعة كبيرة من الكتب والمكتبات فقد كانت في الجزائر في العهد العثماني كتباً عديدة تشتمل على أغلب الاختصاصات وخاصة الدينية التي تخص أمور الإسلام، وكانت على شكل مخطوطات قيمة ونادرة. اهتم أصحابها بجمعها من مناطق مختلفة وخاصة من الشرق العربي والأندلس عندما كانوا ينتقلون إلى هذه المناطق في رحلاتهم وزياراتهم العلمية وكذلك أثناء الحج، ويعترف الفرنسيون أنفسهم بوفرة الكتب والمكتبات في الجزائر في هذا العهد. أثناء غزوهم ودخولهم الجزائر 1830²، وإذا كانت الكتب تستورد من الخارج فقد كانت كذلك تنتج محلياً أي في الجزائر عن طريق التأليف والنسخ، واشتهرت العديد من المدن في الجزائر باهتمامها بجمع الكتب وتضيفها إلى انشاء مكتبات ذات درجة عالية من الأهمية³.

وهذه المدن كانت تلمسان، قسنطينة، بجاية، مازونة، الجامع الأعظم في الجزائر العاصمة وكذا زاوية الأمير عبد القادر في معسكر، كما كانت بعض المدن ذات مكتبات تضم مجموعة من الكتب العلمية كمدينة وهران إذ كانت تضم مكتبة ومتحفاً في الوقت نفسه⁴. وكانت الكتب تكثر مع هجرة أهلها إلى الجزائر وخاصة من سكان الأندلس الذين اضطروا إلى الهجرة بضغط من الإسبان⁵.

لقد اندهش الفرنسيون أمام كثرة الكتب والمكتبات الموجودة في الزوايا والمساجد والكتاتيب وغيرها من المؤسسات التعليمية. قاموا بجمع هذه الكتب والمخطوطات من المكتبات في المدن الجزائرية التي وقعت في أيدي الاحتلال، كانت الكتب في الجزائر متنوعة

¹ - نفسه، ص34.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، ج1، المرجع السابق، ص286.

³ عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص35.

⁴ أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص290.

⁵ عثمان كعك، المرجع السابق، ص77.

تنوع المعارف التي كانت تدرس في المؤسسات الثقافية، فكثرة الكتب والمكتبات دليل آخر على اهتمام الجزائريين بها لاقتنائها والاستفادة منها. لأن العائلات والأفراد التي تهتم بالعلم كانت تملك مكتبات خاصة تضاهي المكتبات العامة.¹

لما كان اهتمام الحكومة العثمانية بالعلم والثقافة والتعليم شبه معدوم فلا نتوقع وجود مكتبة عمومية أو وطنية كما نعرف اليوم. أما المكتبات الخاصة فكثيرة غير أن بعض العائلات المتنفذة والتي اشتهرت بالعلم والثقافة كانت لها مكتبات ضخمة وإذا كان الجزائريون قد اهتموا كثيراً بجمع الكتب واقتنائها فإن العثمانيين كأشخاص هم الآخريين انفقوا أموالاً من أجل نشر التعليم وتنشيط العلم، يدفعهم في ذلك مركب النقص. لأنهم غالباً ما كانوا أميين.²

فمحتويات الكتب لا تخرج من العلوم الدينية ومواضيعها كانت تشمل كتب التفسير والقراءات والأحاديث النبوية وكتب الفقه والأصول والتوحيد. إلا أنه لا يفهم من ذلك افتقار هذه المكتبات من العلوم الدنيوية فقد شملت كذلك على الكتب العقلية واللغوية كالنحو والأدب والفلسفة والتاريخ والجغرافيا. إلا أن الكتب العلمية كانت قليلة مثل الحساب والطب والفلك ونحوها لأن طبيعة العهد العثماني كانت فيه السيادة والأولوية للعلوم الدينية.³

وإذا كان التعليم منتشراً في الجزائر في العهد العثماني بالشكل إلا أنه يتبقى تعليماً دينياً بسيطاً وأولياً، يعتمد فقط على القراءة والكتابة بهذا ولا يخرج عن التعليم القرآن الكريم وحفظه.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 35.

² - عثمان كعاك، المرجع السابق، ص 78.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج 1، المرجع السابق، ص 335.

كانت معظم المدن الجزائرية في ظل الحكم العثماني تعيش تحت حركة ثقافية وفكرية ودينية واسعة تتركز في ثلاث حواضر أساسية هي مدينة تلمسان في الغرب وبجاية وقسنطينة في الشرق الجزائري حيث مثلت هذه المدن إشعاعاً فكرياً تضيء بنور معرفتها على جميع أرجاء القطر الجزائري¹.

لقد كتب الرحالة الألماني فلهم شمرا Wilham Shimbra بعد أن زار الجزائر عام 1831: "لقد بحثت قصداً عن عربي واحد في الجزائر يجهد القراءة والكتابة غير أنني لم أعثر عليه"².

¹ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص36.

- صالح فركوس، تاريخ الجزائر ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال، دار العلوم للنشر، عنابة، الجزائر، 2005، ص59².

المبحث الثاني: دور العلماء والوقف في تنشيط الحياة التعليمية.

أولاً: دور العلماء في الحياة التعليمية:

تميز العهد العثماني ببروز عدد كبير من العلماء الذين اشتهروا بالتدوين من بين هؤلاء العلماء نذكر :

1. سعيد قدورة: وهو أبو عثمان سعيد بن ابراهيم عالم مدينة الجزائر تونسي الأصل وجزائري المولد تتلمذ بالجامع الكبير على يد نخبة من علماء الجزائر¹.
2. أحمد المقرئ: ولد احمد المقرئ بمدينة تلمسان، كان من أهم شيوخها عمه الشيخ سعيد المقرئ، ينحدر من أسرة علمية عريقة، حفظ القرآن كما كان يعقد مجالس للتدريس بكل مكان يجل به لهذا عرف بأنه كان مدرسا بارعا ومحاضرا. قد شهدت دروسه إقبالا عظيما عليها من مختلف الطبقات.
3. عمر الوزان: عمر بن محمد الأنصاري القسنطيني وزان وهو من ابرز علماء قسنطينة كان الوزان ممن شدوا الرحال في طلب العلم² أسهم الوزان في إخراج عدد من التلاميذ منهم عبد الكريم فكون وغيرهم³
4. عبد الكريم فكون هو عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم التميمي القسنطيني تعد عائلته من ابرز العائلات علما وعملا عكف على القراءة في مكتبة العائلة، اضافة إلى انه جلس للتدريس في الجامع الكبير بقسنطينة تولى إمامة المصلين والخطابة على منبره في أيام المناسبات⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1550)، ج1، المرجع السابق، ص338.

² - عبد الكريم فكون، منشورات الهداية كشف حال من ادعى العلم والولاية، ترجمة أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1987، ص36.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1500)، ج1، المرجع السابق، ص379.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، شيخ الإسلام عبد الكريم فكون الداعية، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986، ص70.

5. محمد بن احمد أبوراس الناصري : محمد بن احمد بن عبد القادر بن محمد بن احمد بن الناصر الجليلي المعسكري، ولد بنواحي جيغل 1737م¹ حفظ القرآن الكريم، و قد عاد إلى معسكر فالتقى هناك بالشيخ عبد القادر المشرفي فتتلمذ على يديه أبوراس الناصري، لم يشتغل بالتدريس منذ ست وثلاثين سنة، وقد اشتهر في الجزائر في أقطار المغرب والمشرق، إذ اجتمع حوله أكثر من 780 طالبا درس في مدينه معسكر في مسجد العين البيضاء وتخرج على يديه الكثير من فصحاء العلماء كالشيخ عبد القادر الهزيل².

كان العلماء يمثلون الرأي العام في الجزائر خلال العهد العثماني فرغم ترفعهم الطبقي كانوا على صلة بالناس في الدروس ومجالس الفتوى والقضاء والزوايا وخطبة الجمعة وكان الناس يثقون في العلماء أكثر مما يثقون في رجال السياسة وقد كانت مكانة العلماء كبيرة³.

وكنماذج عن تأييد العلماء للوجود العثماني منهم: محمد بن علي الخروبي، عيسى الثعالبي، بالرغم من إن النظام لم يكن مهتما بتطوير التعليم إلى انه وجد الباشوات و البايات بذلوا جهودهم لرعاية التعليم, منهم :

*صالح باي: إذ شهدت قسنطينة في أيام صالح باي جوا ثقافيا ملحوظا ارتقى إلى مستوى معتبر وقد أسس مدارس أخرى في عنابة وجيغل .

*الباي محمد الكبير: من أشهر بايات الذين شجعوا التأليف إذ أمر باختصار للكتب المطولة ونسخ المخطوطات وبعث التأليف في علوم شتى وتكريم القائمين على ذلك .

¹ - نصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، تراجم المؤرخين والرحالة والجغرافيين، د.س.ن، ص460.

² - عبد الرحمن بن محمد الجليلي، تاريخ الجزائر العام، ج04، دار الأمة، 2014، ص214.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830)، ج01، المرجع السابق، ص409.

رغم شكوى أبي راس الناصري من تدهور العلم في عصره، فإن الكُتّاب في هذه الفترة يذكرون شواهد كثيرة على تقدم المعارف¹

محمد بن عثمان لقد قام بإنجازات منها انه شجع على التأليف وغيره من العلماء ومن الإسهامات العلماء نجد الأنصاري مصطفى آغا بيت المال الذي قام ببناء مكتب لتعليم الصبيان، وعليه فحركة التأليف نشطة.

انصب اهتمامها في العلوم الدينية، إذا انتزع العهد العثماني بالانتشار الواسع المكتبات حيث اشتهر العديد من المدرسين في الجزائر إثناء العهد العثماني الذين تخرج منهم نخبة من العلماء كان لهم دور في انتشار التعليم.

ثانيا: دور الأوقاف في التعليم.

اكتسبت مؤسسه الأوقاف مكانتها المرموقة من خلال تأثيرها على مختلف أوجه الحياة إذ كانت تكفي لسد حاجيات المشتغلين بالتعليم من طلبة ومعلمين و تغطية نفقات القائمين على المساجد والمدارس والزوايا ومما لا شك فيه أن هذه المساجد والمدارس والمكتبات ما كانت لتصمد بهذا الزمن لولا تمويلها من طرف الأوقاف، إذ أدت دورا كبيرا شمل جل المجالات وبفضل الأوقاف لم يرى الحكام ضرورة لرعاية المؤسسات الثقافية والدينية من مال الخزينة².

وقد كانت أوقاف الجزائر تداول عده مؤسسات دينية وخيرية غرضه تحقيق المنفعة العامة ذات طابع ديني ومن بين هذه الأوقاف نذكر ما يلي:

¹ - أبو القاسم سعدالله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج1، دار الرائد، 2009م، ص 85.

² - سعدي عثمان، الجزائر في تاريخ، دار الامة، الجزائر، 2013م، ص 424.

- مؤسسة أوقاف الحرمين الشريفين كانت من أهم مؤسسات الوقف من حيث عدد أوقافها والمداحيل التي توفرها.
 - مؤسسة أوقاف الجامع الأعظم من حيث كثرة عددها ومردود تحتل الدرجة الثانية بعد أوقاف الحرمين إذ كانت أوقاف الجامع الأعظم بمدينة الجزائر تنازل 55 وقفا ويعود التصرف فيها إلى المفتي المالكي.
 - مؤسسة أوقاف الأولياء والمرابطين: وهي اقل أهمية من أوقاف المؤسستين السابقتين وتتوزع أساسا على العديد من الأولياء منهم ثمانية عشر وليا داخل مدينة الجزائر في مقدمتهم عبد الرحمن الثعالبي وهي أهم المؤسسات الوقفية للمرابطين بالجزائر.
 - مؤسسة أوقاف الإشراف: تضمن عددا من الأوقاف يعود ريعها على جماعه الإشراف التي كانت تضم مدينة الجزائر وضواحيها حوالي ثلاثمائة أسرة¹.
- وعليه نستنتج أن وضع التعليم خلال العهد العثماني كان نشيطا رغما انه لم يأخذ حيزا في تفكير العثمانيين واهتماماتهم لأن النظام العثماني في الجزائر لم تكن له سياسة تعليمية أو خدمة زادهم فكري بشكل عام وإنما اكتفى بعدم معارضة إي شكل من أشكال الثقافة ومن هنا كان موقف الدولة العثمانية تجاه تعليم الجزائريين موقف الحياد الايجابي ولن تكون اهتماماته بالجانب الثقافي بقدر ما كان الاهتمام بالمحافظة على النظام القائم سواء لمواجهة الأعداء أو ردع السكان.
- لم يكن للعثمانيين في الجزائر سياسة تعليمية ولا خطة أو برنامج رسمي لتشجيع التعليم وتطويره وإنما كان تعليما خاصًا يخضع للمبادرات الفردية والعائلية والمؤسسات الإسلامية وكانت تغذيه الأوقاف التي تعتبر مصدر تمويل الأول.

¹ - ناصر الدين سعيدوني، المرجع السابق، ص 36 - 37.

الفصل الثاني: المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري

في الجزائر.

- المبحث الأول: سياسة القضاء على المقومات

التعليمية بالجزائر.

- المبحث الثاني: الأهداف والوسائل التي اتبعتها

فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر.

المبحث الأول: سياسة القضاء على المقومات التعليمية بالجزائر:

الواقع أن الاستعمار بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب اللغة العربية و الثقافة العربية، كما حارب الشخصية الجزائرية¹ حربا لا هوادة فيها، و لما كانت اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية ، فقد ركز الاحتلال حربه عليها لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الثقافة العربية و الشخصية الجزائرية بسهولة و يسر² و تماشيا مع هذه السياسة قام بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة في الجزائر ، فأبعدها أولا عن الإدارة حيث أصبحت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرسمي، ما عدا محاكم الأحوال الشخصية الإسلامية، حيث بقي العمل الرسمي فيها يجري باللغة العربية و كذلك في إدارة مناطق الجنوب الصحراوية التي يقطنها عدد قليل من الجزائريين، كما طاردها كذلك في معاهد التعليم.

وفضلا عن ذلك حاول أن يعزز عملية غزوه العسكري للجزائر، بغزو ثقافي و فكري، يسعى من ورائهما إلى محاولة تحطيم الشخصية الجزائرية القومية المعنوية التي جعلته يحتفظ رغم المحن و الاضطهاد بكيانه العربي الإسلامي، و انفردت اللغة الفرنسية و الثقافة الفرنسية بالميدان حتى أن بعض الجزائريين أصبحوا يخشون على لهجة الحديث العامية أن تندثر في البلاد لكثرة ما شابهها من كلمات فرنسية دخيلة تسربت إلى ألسنة الجزائريين بسبب سيطرة اللغة الفرنسية على شؤون الإدارة و التعليم³.

هذا فضلا عن المكتبات و الكتب التي أحرقوها أو بعثروها كما فعلوا بمكتبة الأمير عبد القادر قائد المقاومة الجزائرية في سنوات الاحتلال يقول أحد المؤرخين إن الأمير أصابته نوبة من الحزن الشديد و هو يتتبع أثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها⁴.

¹ - الشخصية الجزائرية : هي شخصية عربية تعتبر جزء لا يتجزأ من الشخصية القومية: ينظر: تركي رابح ، التعليم

القومي و الشخصية الوطنية، ط02 ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر، 1981، ص 22 .

² - تركي رابح، المرجع نفسه، ص 94.

³ - المرجع نفسه، ص 95.

⁴ - المرجع نفسه، ص 97.

لا شك أن هذا النهب المتعمد للتراث الثقافي القومي في الجزائر يدخل في نطاق محاربة الثقافة العربية، و العمل على طمس معالمها لأنها هي المقوم الإسلامي للشخصية الجزائرية التي يسعى الاحتلال إلى القضاء عليها بجميع الوسائل.¹

كان من نتائج الحرب الاستعمارية على الجزائر تدمير المؤسسات الثقافية و تشريد المدرسين و تشتيت التلاميذ و توقيف نشاط الزوايا والمساجد و المدارس.²

و قد وضحها دوتوكفيل في تقرير له سنة 1848 بقوله "لقد استولينا في كل مكان على هذه الأموال و أموال المؤسسات الخيرية التي غرضها سد حاجات الإحسان و التعليم العام و ذلك بأن حولناها جزئيا عن استعمالها السابقة و أنقضنا المؤسسات الخيرية و تركنا المدارس تندثر وبعثرنا الحلقات الدراسية ، لقد انطفأت الأنوار من حولنا و توقف انتقاء رجال الدين ورجال القانون ، و هذا يعني أننا جعلنا المجتمع الإسلامي أشد بؤسا و أكثر جهلا و أشد همجية بكثير مما كان عليه من قبل أن يعرفنا".³

وفي ديسمبر 1832 اقتحمت القوات الفرنسية جامع كتشاوة⁴ و هو أجمل مساجد مدينة الجزائر لتحويله إلى كنيسة، أما في قسنطينة اختار الحاكم العام الفرنسي غالي أجمل مساجدها و هو مسجد صالح باي لتحويله إلى كنيسة كاثوليكية بالإضافة لمساجد أخرى منها.

¹ - تركي رايح، المرجع السابق، ص 98.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1500)، ج 01، المرجع السابق، ص 223.

³ - شارل رويبر أجرون تاريخ الجزائر المعاصر ، ترجمة عيسى عصفور، منشورات كويدات، بيروت 1982 ، ص 36.

⁴ - جامع كتشاوة: يسمى أيضا بجامع كجاوة هو اسم المكان الذي بني عليه و كانت أوقافه تحت يد سبل الخيرات وهو من الجوامع الخفية ومن أكبر المساجد بالعاصمة، ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج 05، دار الغرب الإسلامي، ط 01، بيروت، لبنان، 1998، ص 39.

- جامع السيدة : الذي هدم سنة 1830 نتيجة خوف الفرنسيين أن يتخذها الجزائريون نقطة تجمع المظاهرات و مركزا لهم و ذلك نظرا لأهميته.¹

- جامع سيدي سعدي: الذي اتخذته فرنسا عام 1847 مخزنا للبارود، ثم حول إلى مصلحة الضرائب و بعد ذلك هدم.

- الجامع الكبير: يسمى الجامع الأعظم الذي استولت على أوقافه و ضمتها للإدارة الفرنسية.²

أما مصير الزوايا فكان نفس مصير المساجد أنها تعرضت للهدم ، خاصة تلك التي شاركت في مقاومة الاحتلال الفرنسي و أغلق الكثير منها ، بدعوى عدم وجود رخصة لها في إدارة الشرطة الفرنسية بحيث لم تعد الزاوية كتلك التي عرفت ف بداية الاحتلال بنظامها وهيكلتها و فروعها الخاصة³ و منه كان اتجاه الزوايا سلبيا من خلال القيام بأعمال المنحرفة كالرقص و الشعوذة و البدع و الابتعاد عن السنة و تبيان الكرامات لشيوخ الزوايا.⁴

أما بالنسبة إلى المدارس القرآنية فقد قامت إدارة الاحتلال الفرنسي منذ البداية بالقضاء وهدم المدارس في الجزائر العاصمة منها: المدرسة التابعة لجامع سبطات، جامع البطحاء⁵ فقد هدم عام 1854م، جامع السلطان بشارع تركلون هدم عام 1838م، مدرسة جامع خير الدين أي جامع الشاوش هدم عام 1831م.⁶

¹ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص14.

² - المرجع نفسه، ص59.

³ - يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر، ج01، دار الهدى، الجزائر، 2009 ، ص224.

⁴ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص137.

⁵ - جامع البطحاء: يسمى أيضا بمسجد سباط الحوت وكان مصيره يثير الرثاء فقد جعلته السلطات الفرنسية منذ بداية الاحتلال مخزنا للحبوب حتى 1838. ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج05، ص24.

⁶ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج05، ص60.

1/ موقف الاحتلال من اللغة العربية والثقافة العربية:

كان الاحتلال من اللغة العربية و الثقافة يهدف إلى القضاء عليها و ذلك عن طريق:

*القضاء على معظم مراكز الثقافة العربية و اللغة العربية: التي تتمثل في المدارس والجموع، والزوايا التي كانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال ، فالبعض منها حوله إلى معاهد للثقافة الفرنسية و بعضها سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين و البعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية : مثل كان في مدينة قسنطينة قبل دخول الاحتلال إليها في عام 1837 ثمانون مدرسة و سبعة معاهد ، و ثلاثمائة مدرسة ، و زاوية في منطقتها لم يبقى منها بعد الاحتلال سوى ثلاثين مدرسة فقط¹

كان يوجد في مدينة عنابة 39 مسجدا و جامعا و زاويتان قبل الاحتلال لم يبقى منها بعد الاحتلال سوى 3 مدارس فقط و 15 مسجدا و هكذا الأمر بالنسبة إلى مراكز الثقافة العربية الأخرى في بقية الجهات الجزائرية.²

نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الإسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات، و الوثائق و الكتب، فقد كان ضابط جيش الاحتلال الفرنسي و رجال الدين المسيحي الذين رافقوه في عمليات الغزو ، 1830 حتى 1980 التي استمرت مدة سبعين عاما ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات القطر سواء كانت عامة أو خاصة ، و يرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا ، أو يبيعونها لتجار الكتب الأوروبيين الذين يأخذونها إلى أوروبا.³

¹ - تركي رايح، المرجع السابق، ص96.

² - "المجاهدات الثقافية في الجزائر المستعمرة": من 1830-1880، مجلة الأصالة، العدد 06، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، 1972، ص135.

³ - تركي رايح، المرجع السابق، ص96.

لقد قام الفرنسيون فور دخولهم باحتلال المساجد و مصادرتها و التدخل في تعيين رجال الدين من الأئمة و المفتي، و استطاعت بعض المؤسسات الثقافية، التي ظلت بعيدة عن سيطرة الفرنسيين أن تحافظ على دورها في نشر التعليم وكان الأمر الملكي الصادر في 23 مارس 1843م أكبر ضربة للمؤسسات التعليمية باستيلائه على الأوقاف و ضمها لأملاك الدولة، و قد عانى المدرسون الجزائريون المصير نفسه فضعف عددهم و تشتت شملهم في كل منطقة في كل مكان حل بها الاستعمار، و حل بهم ما حل بالمؤسسات الثقافية و الكتب والمخطوطات من تدمير و اضطراب ، فتغيرت ظروفهم الاجتماعية و الاقتصادية الحسنة¹ المناصب و سقطت المدارس في أيدي مدرسين جهلة و انخفض التعليم إلى الحضيض الذي يهدد كل السكان الأهالي بالجهل²، و انخفض بالمقابل عدد المدرسين و يستنتج دوماس و عربان من هذه الحالة السيئة للتعليم النتيجة النهائية للسياسة الفرنسية العلي، و أصبحت الزوايا القريبة من مراكز للاحتلال مهجورة .

أما المدرسون، فهاجروا إلى مناطق التعليم تخضع بعد السيطرة الفرنسية³، و لم يقف الدمار الفرنسي عند هذا الحد من تهجير المدرسين و نفيهم و تشريدتهم ليشمل أيضا التلاميذ و المؤسسات التعليمية بجميع أنواعها و نزلت الأرقام في هذه الفترة من الاحتلال من الأعلى إلى الأسفل ، فقد كانت توجد في الجزائر العاصمة 1840 بها 24 مدرسة قرآنية تستقبل أكثر من 600 تلميذ ، و منذ 1846 فقط انخفض عدد هذه المدارس إلى 14 مدرسة تشمل 400 تلميذ⁴ .

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص43.

² - Turin, Yvonne, op cit. p.122

³ - Idem. P130

⁴ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص44.

حيث فقدت الجزائر بعد الاحتلال 1830 أغلب رجالها من العلماء و المثقفين كما فقدت العديد من المساجد و الزوايا دورها في خدمة الجزائريون لتخدم المصالح الفرنسية، اذا حولت أغلبها إلى كنائس أو ملاهي أو إسطبلات¹، و يذكر أبو القاسم سعد الله أن التعليم العربي استمر في أداء رسالته رغم محاولات الفرنسيين في استئصاله و القضاء عليه من خلال الحروب و مصادرة الأوقاف، و كذلك هجرة الطلبة و العلماء حتى أنه لم يبقى منهم إلا بعض الطاعنين في السن².

لقد سعت السلطات الفرنسية إلى التحكم في المؤديين من الناحية المالية و الفكرية و فصل التواصل بينه و بين التعليم المتوسط و الثانوي و منع المؤديين من تجاوز الحفظ إلى التفسير و تفهيم، و بذلك أصبح القران فارغا من جميع محتوياته التي أودعها الله إياه³.

قامت إدارة الاحتلال بالقضاء و هدم المدارس في الجزائر، حيث تعرضت المؤسسات الدينية للهدم من طرف الاحتلال الفرنسي، تمثلت في تدمير المنشآت العمرانية خاصة المساجد، و هذا يؤكد لنا مدى السياسة التعسفية المطبقة على المجتمع الجزائري، فقد اعترفت السلطات الفرنسية بانتهاك حرمة المقدسات المسلمين من خلال رد وزارة الحربية على الشكاية رقم (3) التي قام حمدان خوجة بإرسالها إليهم لا يمكن لنا أن نقبل مبدأ أن المعاهد قد رفعت عن حق هدم مسجد لبناء مكان عام، و عند وعدنا باحترام الدين الإسلامي فإننا لم نلتزم مطلقا عدم مس تلك الأماكن لأي سبب من الأسباب، و نستطيع أن نتصرف بأي ملكية سواء كانت دينية أو غيرها لفائدة العام⁴.

فقد تقلص عدد المساجد من 176 مسجدا سنة 1830 إلى 48 مسجدا في سنة 1862⁵

¹ - حديجة بقطاش، الحركة الوطنية التبشيرية الفرنسية في الجزائر (1830-1871)، مطبعة دحلب، الجزائر، 2008، ص 02-08.

² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج03، المرجع السابق، ص32.

³ - المرجع نفسه، ص36.

⁴ - عبد الجليل التميمي، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي الجزائر، تونس وليبيا (1816-1871)، منشورات مركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، 1985، ص101.

⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، (1830-1954)، ج05، المرجع السابق، ص14.

2/ أشكال الاهتمام الفرنسي باللغة العربية :

أولاً: قامت بتدريسها للفرنسيين إذ يعد جوني فرعون Johnny Feraoun من الأساتذة الذين وظفتهم الإدارة الاستعمارية في الجزائر لتدريس اللغة العربية للفرنسيين ، و تولى أداء هذه المهمة 6 ديسمبر 1832 و لقد لقيت هذه الدروس إقبالا واسعا جدا، لكن التحاق جوني فرعون ككاتب و مترجم للجنة الإفريقية أدى إلى توقف هذه الدروس، و ظل جوني فرعون أستاذ للغة العربية إلى غاية 1836 حيث تم تعويضه بمسشرق فرنسي الأصل هو بريسنيير Bricner الذي مكث كأستاذ للغة العربية حتى 1869¹.

لتشجيع الأوروبيين على إقبال على دروس اللغة العربية قررت الإدارة الفرنسية تقديم جائزة مالية مقدارها 150 فرنك فرنسي في نهاية كل سنة دراسية للمتفوقين كوسيلة بارزة في عملية توطيد تواجدها في الجزائر و توسيع نفوذها فيها ، أي أداة للتفاهم و الاتصال لا للتثقيف و التكوين².

هناك العديد من الأدلة التي تؤكد لنا استعمال الإدارة الاستعمارية للغة العربية كوسيلة من وسائل تثبيت وجودها في الجزائر و نذكر هنا على سبيل المثال تلك الرسالة التي أرسلها المتصرف المدني الفرنسي في الجزائر السيد بيرسون سنة 1936.

إلى المفتش العام للتعليم و التي دعا فيها إلى ضرورة دراسة اللغة العربية و التوسع فيها و هذا بهدف معرفة عادات و تقاليد الأهالي طريقة تفكيرهم ، و لقد تم الإعلان عن بدء دروسه رسميا في بلاغ رسمي أمضاه المفتش العام للتعليم لوبشوه Lepesheux.

جاء فيه أ ن السيد بريسنيير التلميذ القديم في المدرسة الملكية و المختص في اللغات الشرقية أستاذ اللغة العربية في الجزائر سيفتح درسه يوم 17 جانفي 1837، و فعلا تم افتتاح الدرس في اليوم المحدد بحضور المفتش العام للتعليم و جمع غفير من الضيوف و ألقى درسا أشبه ببرنامج عمل.

¹ - إبراهيم لونيبي، بحوث في التاريخ الاجتماعي الثقافي للجزائر إبان الاحتلال الفرنسي، دار الهومة، الجزائر، 2013، ص98.

² - إبراهيم لونيبي، المرجع نفسه، ص99.

و يمكن تلخيص ما جاء في الوثيقة بما يلي:

- إن اللغة العربية لغة غنية في عبارتها و متنوعة في أشكالها .
- إن العرب لا يدركون في مدارسهم سوى لغة القران، كما أن مراسلتهم المختلفة لا تتم إلا بها، وهذا ليس محل تعجب.¹
- وضع برنامج عام لتسهيل عملية تدريس اللغة العربية للباحثين الفرنسيين و ذلك بتعريفهم بالمبادئ العامة للهجات السائدة في الجزائر التي هي أكثر شاسعة من اللغة العربية الفصحى.²
- اللغة العربية هي لغة الاتصال الأهالي.
- وجود الكثير من اللهجات التي خرجت من اللغة العربية الفصحى أدى إلى خلق حواجز كثيرة بين الشعوب العربية .
- يستعمل العامية في رسائلهم سوى أولئك الذين لديهم ثقافة ضحلة جدا.³

ثانيا: إصدار قواميس عربية فرنسية تذكر تلك القواميس الكثيرة التي كتبت بعد وقوع عملية الاحتلال ، بل أن بعض منها كتب قبل ذلك و تم توظيفها بشكل كبير خلال الحملة ، فأثناء التحضير لها وضع تحت تصرف الضباط قاموسان خاصان باللغة العربية ، الأول كان متبوعا بحوار من وضع المترجم بنجامين فينسون Benjamin Vincent وقد نشر بأمر من وزير الحربية، و القاموس الثاني من وضع أبراهام دنيون⁴ Abraham Daninos.

¹ - إبراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص103.

² - تركي رايح، المرجع السابق، ص104.

³ - إبراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص104.

⁴ - نفسه، ص100

كما قام جوني فرعون سنة 1832 بنشر كتاب بقواعد اللغة العربية العامية الجزائرية

بعنوان

Grammaire élémentaire d'airale vulgaire en Algérien à
l'usage des Français

- في سنة 1837 تم نشر قاموس بعنوان :

Le vocabulaire français rabs des dialectes vulgaires africains
d'Alger Tunisie Maroc et d' Egypte.

لقد ظهرت العديد من المحاولات و المجهودات لتأليف قواميس خاصة باللغة العربية
العامية ، و نجد أن هناك بعض العسكريين الذين تعلموا اللغة العربية و شغلوا مناصب كثيرة
المساس بالأهالي قد أدلوا بدلائلهم في هذا المجال .

من بين القواميس هو الذي ألفه رولن دبوسي Dubose Ronald

عنوان petit dictionnaire arabe français et français airale الذي

نشره سنة 1836 بطلب من المارشال كلوزيل²

إذ أن معظم الكلمات التي أوردتها فيه هي من اللهجة العامية العاصمية في أغلبها و
هذه النماذج المنتقاة من صفحات مختلفة من القاموس:

- أعياء - Pour quoi لماذا؟

- احداش - onze إحدى عشرة

- فاين - Où أين؟

- فشاك - cartouche رصاص

¹ - ابراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص107.

² - المرجع نفسه، ص107.

- فشاكة - Le fusil - بندقية.

- غير غدوة .

demain après بعد غد

الكلمة بالعامية العاصمية	الكلمة باللهجة الفرنسية	معنى الكلمة باللغة العربية الفصحى
أَعْيَا	Fatigué	تعب
اعْلَاشْ	Pourquoi ?	لماذا؟
أَحْدَاشْ	Onze	إحدى عشر
فَإَيْنْ	Où ?	أين؟
فُشَاكْ	Cartouche	رصاصة
فُشَاكَة	Fusil	بندقية
غَيْرْ غَدَوَة	Après demain	بعد غد

محادثة اللغة العربية الفصحى:

في الوقت الذي كانت الإدارة الاستعمارية تعلم اللغة العربية لبعض موظفيها، كانت بالمقابل تحارب هذه اللغة في أوساط الجزائريين على أساس أن بقاء هذه اللغة سيشكل العقبة الكبرى في طريق فرض سيطرتها التامة على الجزائر و هذا على حد تعبير الدوق دور فيقو في إحدى رسائله إلى وزير الحربية بتاريخ 15 أكتوبر 1832 إن إيالة الجزائر لن تكون حقيقة من الممتلكات الفرنسية إلا بعد أن تصبح لغتنا قومية فيها، و حتى تتأقلم فيها العلوم و الفنون التي يقوم عليها مجد بلادنا و متى كانت اللغة الفرنسية لغة السلطة و الإدارة، فألها سوف لن تلبث أن تنتشر بين الأهالي¹.

¹ - إبراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص 109.

و من أجل القضاء على اللغة العربية¹ وظفت مجموعة من المستشرقين الذين كانوا يباركون السياسة الاستعمارية في الجزائر.²

فقد قاموا بتصنيف اللغة العربية إلى ثلاثة أصناف و هي:

1 - اللغة العربية العامية: و هي اللغة التي يجب استعمالها لأن معظم الذين تخصصوا في اللغة العربية أثناء الاحتلال كان تخصصهم في العامية مهملين في ذلك العربية الفصحى.

2- اللغة الكلاسيكية: و هي لغة الأدب القديم بما فيها اللغة التي كتب بها القران الكريم الحديث الشريف.³

3- العربية الفصحى: أو الحديثة و هي لغة الجزائر الصادرة في الجزائر.⁴

كما عملوا أيضا المستحيل بهدف تشويهها حتى أصبح الكثير من النصوص الصادرة باللغة العربية من الإدارة الاستعمارية في الجزائر لا يمت بأية صلة إلى اللغة العربية و لا يحمل هذه اللغة سوى الاسم فقط.⁵

¹ عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص64.

² ابراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص109.

³ - تركي رايح، المرجع السابق، ص104.

⁴ - ابراهيم لونيسي، المرجع السابق، ص111.

⁵ - نفسه، ص 111.

أساليب الاستعمارية للقضاء على مقومات الشخصية الجزائرية:

لقد اتبعت فرنسا بعض الأساليب الاستعمارية العامة التي تهدف إلى تمكين اتجاه الاستعمار من اجل البقاء ، مدة أطول تهدف إلى تمكين اتجاه الاستعمار من أجل البقاء، مدة أطول بالجزائر ، و خاصة في الميدان الثقافي و أساسية محاربة اللغة العربية ونشر التعليم باللغة الفرنسية¹ ، فقد رأى الفرنسيون أن اللغة العربية هي إحدى أبرز مقومات الشخصية الجزائرية و أن بقاء هذه اللغة يعني بقاء هذه اللغة يعني بقاء الشخصية الوطنية للجزائريين و التي تناقض حضارتهم و تعرقل أهدافهم ، من أجل القضاء، على اللغة العربية، تفكيك المجتمع ركزت على:

موقفها من نظام التعليم العالي:

قامت بغلق المدارس الجزائرية إذ استولت على بعض البنايات المدرسية و اشتغلها وفق حاجاتها و حولتها إلى مكاتب إدارية مدنية و عسكرية و هناك بعض المدارس اضطرت للغلق بعد مقتل معلمها في المعارك أو لهجرتهم إلى مناطق أمنة ، وذلك أن السلطات الفرنسية كانت تعتبر المعلم الجزائري خطرا يجب محاربته لأنه يحمل يحافظ على المقومات الشخصية للشعب الجزائري² .

ففي الوقت الذي كان التوسع على أشده في مختلف الجهات الوطن الجزائري ، كان الفرنسيون من المدنيين العسكريين يستولون على ما تحتويه المكتبات العامة و خاصة في المساجد و الزوايا مثلا مكتبة الأمير عبد القادر لقيت المصير نفسه بعد سقوط عاصمته المتنقلة الزمالة 1843³ .

¹ - تركي رايح، المرجع السابق، ص104.

² - شارل رويبر أجيرون، المرجع السابق، ص38.

³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج03، المرجع السابق، ص38.

سياسة التجهيل

إن التعليم الذي كانت تقصده فرنسا كان فرنسيا بحتا لأنها قضت على التعليم العربي، ونفت و شردت المعلمين و استوليت على أملاك و الأوقاف المصدر الرئيسي لهذا التعليم¹ فاعتمدت الإدارة الاستعمارية على وسائل عديدة ركزت على:

- إعطاء الأولوية للتعليم الفرنسي على حساب التعليم العربي
- حصر تعليم الجزائر بين مراحله الأولى فقط، فصل التعليم أبناء الأهالي عن أبناء المعمرين، الاستغناء عن العربية و تعويضها باللغة الفرنسية في أهم موادها، و على هذا الأساس ضعف مستوى التعليم و تقلص مجال انتشاره².

كان نصيب اللغة العربية من التعليم الفرنسي منعدما و لهذا عمدت الإدارة الفرنسية إلى محوها و اعتبارها لغة أجنبية و مبنية، لأنها غير قادرة على أن تصبح لغة الحضارة، لهذا يجب إحلال اللغة الفرنسية محل اللغة العربية لتوطيد ركائز الاستعمار بمختلف أشكاله³.

¹ - إبراهيم لونيبي، المرجع السابق، ص113.

² - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1962)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1995، ص64.

³ - شارل روبيير أجيرون، المصدر السابق، ص112.

المبحث الثاني: الأهداف والوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية بالجزائر.

بعد الاحتلال حاولت الإدارة الاستعمارية الفرنسية تنظيم تعليم خاص بالجزائريين لتكوين أفراد موالين لها، فحاولت تأسيس المدارس و المعاهد العربية الفرنسية و الإشراف على التعليم العربي ووضعه تحت الإدارة الاستعمارية، لكنها في نفس الوقت خصصت هذا التعليم لأقلية معينة من المجتمع.¹

وكان الدوق دومال قد قال صراحة أن بناء مدرسة أحسن و أفضل من فيلق عسكري لإقرار الأمن ، و تصور الفرنسيون مقتنعين أن التعليم وحده كاف لمزج العناصر البشرية المختلفة بفضل اختلاط الأطفال في المدارس ، و بدأ العمل بهذه الصورة لتطبيق هذه السياسة في مراحل التعليم الابتدائي²

المدارس العربية الفرنسية:

تأسست المدارس العربية الفرنسية في عهد الجمهورية الفرنسية الثانية بموجب مرسوم 14 جويلية 1850 و يخص المدارس العربية الفرنسية أي المدارس العلمانية في المدن الكبرى، أما المرسوم الثاني فكان في 30 سبتمبر 1850³ و يخص تأسيس و تنظيم المدارس العربية الإسلامية أي مدارس المدينة، غير أنها لم تنتشر وتنظم على أساس علمي إلا في عهد الإمبراطورية، وكان الغرض الأساسي من تأسيسها ذا طابع سياسي أكثر منه تثقيفي⁴، لأن تأسيس مدرسة هو وسيلة للحكم و السيطرة⁵.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص47.

² - صالح فركوس، محاضرة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830-1925)، ط01، قسنطينة، الجزائر، 2010، ص158.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص50.

⁴ - شارل روبر آجيرون، المصدر السابق، ص109.

⁵ - Turin Yvonne, Op cit. P.246.

إن الهدف من وراء تدريس و تعليم الفرنسية للجزائريين عن طريق المدارس العربية الفرنسية هو محاولة القضاء على المدارس العربية الإسلامية الخاصة الحرة.¹

غير أن سياسة المدارس المختلطة العربية الفرنسية لم يكتب لها النجاح لمعارضة البلديات لها من جهة، و بعد أن وضعتها القوانين تحت إشرافها الإداري و على نفقتها المالية ورفض الأوروبيين لتأسيس المدارس العربية الفرنسية، فالمدارس العربية عرفت بعض الظهور و الانتعاش عندما كانت تحت حكم العسكري²، إلا أنها بدأت تميل إلى الزوال و الاندثار، أي أنها أصبحت تحت نفوذ و مراقبة البلديات.

و بدأ هذا النشاط التعليمي بتقلص بعد ان أصبح تأسيس المدارس على نفقة البلديات الفرنسية 1861 التي لا يهتما تعليم و تثقيف الجزائريين³، و توقفت عن تقديم أدنى القروض و الاعتناء بدفع حكومي نص على وضع المدارس العربية الفرنسية تحت مسؤولية البلديات في المناطق المدنية .

كان موقف البلديات هو رفض تقديم القروض الضرورية للعناية بالمدارس الخاصة بالجزائريين بدعوى إمكانية الالتحاق بالمدارس المختلطة Mixtes، هكذا راحت سياسة المدارس العربية الفرنسية التي تبنها العسكريون تزول و تندثر بتوسع النفوذ المدني و سيطرة الأوروبيين⁴ فقد لاحظ يacono في موضوعه الذي يحمل اسم المكاتب العربية أن المدارس العربية الفرنسية الثلاث و التي أسستها المكاتب العربية أي حكم العسكري نزل عدد تلامذتها إلى الصفر في سنة 1869 بعد أن كان هذا العدد 110 تلميذ و ذلك عندما أصبحت القبائل تحت سلطة القضاء المدني⁵.

¹ - شارل روبر آجيرون، المصدر السابق، ص110.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص54.

³ - أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصر (1830-1900)، ج2، طبعة خاصة، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص28.

⁴ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص55.

⁵ - لزرق فاطمة وقوادري عائشة، التعليم في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي (1830-1870)، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في تاريخ المغرب العربي الحديث والمعاصر، 2015/2014، جامعة تيارت، ص40.

العامل الثاني في فشل هذه المدارس و السياسة التعليمية الفرنسية هو العامل الوطني والمتمثل في رفض الجزائريون للتعليم الفرنسي إلى إدماجهم و ربطهم بمصير الأمة الأوروبية¹.

المعاهد العربية الفرنسية:

شملت عملية تنظيم التعليم الخاص بالجزائريين المستوى الثانوي قصد توفير مقاعد دراسية لخريجي المدارس العربية الفرنسية و استكمال دراستهم فكان صدور مرسوم خاص بتأسيس الكوليجان المعاهد العربية الفرنسية فلقد رأى وزير الحرب الفرنسي الماريشال فايون Vaillant في تقرير له في سنة 1857 ضرورة تأسيس معهد عربي فرنسي لنشر التعليم بين أبناء العائلات المتنفذة و الفئات العليا من المجتمع الجزائري.²

لقد صدر أول مرسوم إمبراطوري في 14 مارس 1857 تأسس بموجب أول معهد عربي فرنسي، و كان أبناء الرؤساء الجزائريون و أبناء الفرنسيون أول من التحق بهذا المعهد عند فتحه سنة 1858، و كان المعهد مخصصا في بدايته لمئة و خمسين طالبا ممنوعا من أبناء الضباط الفرنسيين و الموظفين و الرؤساء الجزائريين ، الذين خدموا القضية الفرنسية³.

في سنة 16 جوان 1865 صدر مرسوم إمبراطوري آخر نص على تأسيس معهدين آخرين في كل من قسنطينة و وهران ، و كان الهدف من وراء هذه المعاهد تقليص عدد التلاميذ الملتحقين بالمدارس العربية الإسلامية الخاصة ، و معظم المتخذين من هذه المعاهد كانوا يتوجهون إلى الجيش أولا إلى الإدارة القبائل، و تنص المادة الخامسة من مرسوم 1 مارس 1867 على أنه لا يحق لكل مرشح التقدم إلى الامتحانات الدخول لهذه المعاهد إذا لم يكن فرنسيا أو متجنسا بالفرنسية مع ضرورة معرفة اللغة الفرنسية⁴.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص55.

² - المرجع نفسه، ص56.

³ - شارل روبيير أجيرون، المصدر السابق، ص589.

⁴ - لزرق فاطمة وقوادري عائشة، المرجع السابق، ص 46.

لقد كان واضحا أن السلطات الفرنسية تركز في معاهدها على الجانب الفرنسي أكثر من العربي في البرامج التعليمية ، مدعمة أقوالها من الصعب إيجاد مدرسي اللغة العربية لتلبية مطالب التلاميذ ، و بذلك أصبحت هذه المعاهد عربية الشكل و أوروبية المضمون ¹

السنة	عدد التلاميذ	الجزائري	الفرنسي
1868	156	115	41
1869	187	123	64
1870	205	116	89

لكن لم تستطع هذه المعاهد أن تستمر في البقاء وسط معارضة أوروبية شديدة اللهجة، فقد طالب هؤلاء مرارا بإلغاء معهد الجزائر العاصمة ، و ذلك بتحويل تلامذته من الجزائريين إلى الثانويات الفرنسية، حتى لا يتكون هؤلاء الجزائريون بعيدا عن التأثير و النفوذ الفرنسي في معاهد خاصة بهم ، في حين طالب المتشددون منهم بإلغاء هذه المعاهد نهائيا بدعوى ارتفاع نفقاتها المالية، إلا أن الحاكم العام ماكهمون رفض الرضوخ لمطالب الأوروبيين و أصرا أن يتعلم الجزائريون في معاهد خاصة بهم ، دون إدماجهم في الثانويات الفرنسية مع الأوروبيين ².

المدارس الإسلامية الحكومية :

أما المرسوم السامي و الهام فكان يخص المدارس الإسلامية ذات مستوى العالي، فموجب مرسوم 30 سبتمبر 1850 أنشأت ثلاث مدارس إسلامية في تلمسان و الجزائر العاصمة وقسنطينة ³، تخصص بالدراسات التعليمية الهادفة إلى تكوين و تخريج موظفين تحتاجهم الإدارة الفرنسية كالمكتفي والعدول والتراجم ومعلمي مادة اللغة العربية.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق ص58.

² - المرجع نفسه، ص58.

³ - رابح الدي، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر ودور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها (1830-1962) دراسة نظرية وتحليلية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، 2010-2011، ص65.

كان يشرف على هذه المدارس الإسلامية فرنسيون يحسنون اللغة العربية و منذ 1850 أصبحت المدارس الإسلامية، التي كان لها الطابع الخاص تحت إشراف الحكومة دور الوسيط بين السكان و الإدارة الفرنسية¹.

كانت السلطات الفرنسية تنوي جعل المدارس الإسلامية جعلها تحت رقابتها و إبعاد السكان الجزائريين عن تأثيرات رجال الدين الجزائريين الأحرار في الزوايا و المساجد و المدارس الحرة، أيضا أسست هذه المدارس لتنافس به الزوايا الموجودة في البلاد المجاورة كتونس و المغرب، و تنقص من قيمتها ووزنها العلمي بتخفيض عدد طلابها من الجزائريين و إبقائهم في الجزائر لمتابعة الدراسة العالية في المدارس الإسلامية الحكومية.

كان مكان كل مدرسة بجانب المسجد على الطريقة التقليدية، و كانت هذه المدارس الإسلامية تحت رقابة السلطات العسكرية الفرنسية، و كان يشترط للدخول إلى هذه المدارس معرفة اللغة الفرنسية رغم أنها أنشأت للدراسات العربية الإسلامية إلى جانب أنه لا يسمح لكل الناس التعلم و الالتحاق بها، فقط للأفراد الذين أظهروا ميلا لفرنسا.

في سنة 1857 صدر مرسوم ثان يدعم مرسوم 1850 و يزيد من تطور التلاميذ إلى هذه المدارس، و لتضيف الخناق على المدارس القرآنية الحرة و تشجيع الطلاب على المدارس الحكومية، منعت السلطات الفرنسية على أي مدرس جزائري أن يفتح مدرسة قرآنية إلا إذا كان حاملا على شهادة الكفاءة، و إذا لم يتوفر فيه هذا الشرط، لا تعطي له رخصة فتح مدرسة قرآنية².

كانت برامج المدارس الإسلامية الحكومية تشتمل على الفقه و النحو و التوحيد و اللغة الفرنسية، و أمام فشل هذا النظام الجديد في التعليم اضطرت الحكومة الفرنسية لاتخاذ إجراءات قصيرة تجبر على التلاميذ الالتحاق بهذه المدارس، ففي سنة 1859 صدر قرار

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص59.

² - المرجع نفسه، ص60.

يقضي بأن يتولى رئيس كل منطقة بجمع عدد الكافي من الطلاب إلى المدارس الإسلامية الحكومية¹.

من أسباب فشل هذه المدارس الإسلامية الحكومية نذكر ما يلي:

- غياب الإدارة الجيدة و الرقابة الدقيقة للدروس إذا لم تكن توجد برامج و مقررات محددة، بل مدرس المادة نفسه هو الذي يحضر الدرس و يحدد المقرر .

- تدني مستوى المدرسين أنفسهم اثناء توظيفهم بهذه الدروس.

أن هذه المدرسة لم تجعل مستقبل المتخرج زاهرا، وقد جعلت المناصب التي يمكن الحصول عليها ذات مردود قليل²، ومن أجل تكوين الإطار المدرس للمدارس و المعاهد الفرنسية، أمر نابليون 1863 بتأسيس مدرسة للمعلمين، غير أن هذه المدرسة لم تؤسس إلا في 1865 في الجزائر العاصمة، كانت للجزائريين و الأوروبيين على حد سواء لتكوين عشرين مدرسا أوروبيا و عشرة مدرسين جزائريين سنويا³.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص60.

² - عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائريين من البداية إلى غاية 1962، ط01، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1997، ص175.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص179.

ثانيا: الأهداف و الوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية في الجزائر.

ترتكز السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر على ثلاثة محاور و أهداف أساسية هي :
إن الأهداف التي كانت ترمي إليها الحكومة الفرنسية من وراء سياستها التعليمية ، هي بصورة رئيسية القضاء على الشخصية الجزائرية عن طريق محو مقاومتها الأساسية لإذابتها في المجتمع الأوروبي و سلخها نهائيا عن انتمائها العربي الإسلامي فقد قال أحد خريجي المدارس الفرنسية أنه ، عندما يتكلم الجزائريون لفتنا يصبحون نصف فرنسيين¹.

1/الفرنسة:

و تعني الفرنسية إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية بالجزائر حتى ينسى الجزائريون بمرور الزمن لغتهم العربية و ثقافتهم القومية و يستبدلوها بلغة و ثقافة المستعمر²، و كان الهدف من هذه السياسة صبغ البلاد بصبغة فرنسية حتى تنقطع جميع الروابط التي تربط الجزائر ماضيا و حاضرا و مستقبلا بثقافتها العربية الإسلامية و بهذه الطريقة تصبح الجزائر أسهل انقياد و أكثر قابلية لسياسة الفرنسية³.

يعتبر قانون 1848 قطعة و أرضا فرنسية تخضع للقوانين الفرنسية و كانت فرنسا ترى أن فرنسة الجزائر تعد من الأمور الحتمية و التي لا مناص منها إذا جاء في أحد التعليمات التي صدرت أيام الاحتلال إن إيالة الجزائر لن تصبح حقيقة مملكة فرنسية إلا عندما تصبح لغتنا هناك لغة قومية، و العمل الذي يترتب علينا إنجازاه هو السعي وراء نشر اللغة الفرنسية بين الأهالي إلا أن يقوم مقام اللغة العربية بينهم الآن⁴.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص63.

² - تركي رايح، المرجع السابق، ص106.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص63.

⁴ - تركي رايح، المرجع نفسه، ص106.

فقد أراد نابليون الثالث في سياسته المسماة المملكة العربية أن يفتح أمام الجزائريين باب المواطنة الفرنسية فأصدر في سنة 1865 تشريعا يحدد الوضع الجديد للجزائريين لكنهم لا يتمتعون بنفس حقوق الفرنسيين إلا بمقتضى التخلي عن قانون أحوالهم الشخصية و يتبعون القانون الفرنسي في الأحوال المدنية¹

لقد أدت السياسة الفرنسية إلى تغيير وجه الجزائر العربي بتغييرها لاسيما المدن و القرى و الأحياء و الشوارع و الساحات، و أطلقت عليها أسماء فرنسية كثيرا ما تحمل أسماء العسكريين و الحكام المدنيين الذين حاربوا الشعب الجزائري كما أن السجل المدني الذي أنشئ في عام 1882²، اعتبره الجزائريون قهرا متعمدا لأنه زودهم بألقاب و أسماء جديدة لزمتهم اخر الامر³

لقد كان القضاء على الدين و اللغة العربية من الأمور المستهدفة مباشرة بعد الإلغاء التدريجي القيادات الجزائرية و الأسر و تفكيك المجتمع الجزائري، و كان الحاكم العام المدني الأدميرال دو قيدون من أكثر المتحمسين للقضاء على أي شكل أو مظهر من مظاهر الحضارة و الثقافة العربية الإسلامية فهو الذي قال يجب أن يمحي القاضي المسلم أمام القاضي الفرنسي، فنحن الفاتحون فلنعرف كيف نفرض إرادتنا على هذا الأساس حل القضاة الفرنسيون محل القضاة الجزائريون، و عليه ألغى المجلس الأعلى للقضاة الإسلامي 1875 و انخفض عدد محاكم القضاة الشرعي من 184 إلى 61 عام 1890⁴.

كانت سياسة فرنسا تسعى إلى محو الهوية العربية الإسلامية للجزائريين انطلاقا من القضاة على مقوماتها الواحدة بعد الأخرى عن طريق قوانين التجنيس و محاربة اللغة العربية و فرنستها فيمكن إحصاء الخطوط العامة لهذه السياسة فيما يلي :

* محاربة اللغة العربية و الثقافة العربية محاربة عنيفة

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص 170.

² - المرجع نفسه، ص 64.

³ - شارل روبر آجرون المصدر السابق، ص 105- 106.

⁴ - المصدر نفسه، ص 108-109.

* فرنسة التعليم في جميع المراحل.

* محاولة تشويه تاريخ الجزائر في ظل العروبة و الإسلام بقصد إلغاء ظلال من الشك على انتماء الجزائر العربي الإسلامي¹.

2/التنصير:

نعني بالتنصير محاولة إخراج الجزائريون من دينهم الإسلام و تنصيرهم كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم و هذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر، حتى ينهار مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية و هو الإسلام.

لقد صرحت فرنسا غداة احتلالها لعاصمة البلاد 1830 بأن من حملة اهدافها وراء عملية غزو الجزائر هو العمل على نشر المسيحية فيها و القضاء على الإسلام فقد أعلن سكرتير الحاكم العام الفرنسي للجزائر عام 1832 هذه السياسة رسميا فقال إن آخر أيام الإسلام قد دنت و في خلال عشرين عاما لن يكون للجزائر إله غير المسيح و نحن إذا أمكننا أن نشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا ، فلا يمكننا أن نشك على أي بأنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا الرعايا لفرنسا إذا أصبحوا مسيحيين جميعا².

أعاد المحتلون تأكيد هذه السياسة في مناسبات عديدة منها الاحتفال 1930 بمرور مئة عام على احتلال الجزائر حيث قالوا إن المغزى الحقيقي من وراء إقامة هذه الاحتفالات إنما هو لتشجيع جنازة الإسلام في الجزائر³، كان العسكريون الفرنسيون يعتقدون أن لهم رسالة مدنية حضارية يقومون بنشرها تحت راية المسيحية ، ففور سقوط الجزائر بأيديهم أمروا الجيش بتحويل المساجد⁴ إلى كنائس و إلغاء شرعية الأعياد الدينية الإسلامية و الاستيلاء على الأوقاف الإسلامية.

¹ - تركي رايح، المرجع السابق، ص107.

² - المرجع نفسه، ص 110.

³ - محمد البشير الإبراهيمي، مجمع في اللغة العربية، العدد 21، القاهرة، 1966، ص148.

⁴ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص67.

لقد كانت الإجراءات الفرنسية اتجاه الدين الإسلامي للجزائريين بطريقة استفزازية فأهانوا بيوت الله كالسير على الأقدام في المساجد و تحويلها إلى كنائس و مستشفيات و إلحاق الأوقاف بالإدارة الفرنسية ، و جعل مقابر المسلمين طرقات عمومية و إرسال رفات الأموات إلى مرسيليا لصنع الفحم العظام ، فبعد انتصار الفرنسيين على المقاومة الوطنية اشتدت حركة الارسلالات التبشيرية و جدد الباب مفتوحا على مصراعيه¹.

لقد اشتهر الجنرال بيجو بسياسة الأرض المحروقة و التدمير الثقافي و الحضاري للشعب الجزائري، و كان يقدم المساعدات الضرورية المبشرين الذين ازداد نفوذهم، في هذه الفترة لأنهم، لا قوا كل الدعم و الصدر الرحب و الاستقلال الجيد، في إحدى هجمات بيجو المسلحة على القرى الجزائرية انتزع 250 طفلا من قرية في بوفاريك ضواحي الجزائر 45 للعاصمة و قام بتقديرهم إلى الأب بريمو مخاطبا إياه أنهم يتامى لقطوا في ساحات الوعي، ربوهم و جعلوهم مسيحيين، ولا شك أن المبشرين يقومون بدور بارز في التحضير لعملية الاستعمار الكاملة وتاريخ البلاد العربية حافل يمثل هذه الحركات و الإرساليات التبشيرية، و كان هدفها الأساسي من وراء ذلك هو محاربة القران الكريم باعتباره الجدار الذي منعهم من اختراق المجتمع العربي الإسلامي².

لقد احتضنت فرنسا سياسة بتبشيرية واسعة النطاق لتنصير الجزائريين رغم أنها دولة لائكية علمانية، و تناولت تقارنا كبيرا في هذا الميدان مع الهيئات التبشيرية المسيحية من مختلف أنحاء العالم للقضاء على الإسلام الذي منع اختراقها للمجتمع الجزائري فلقد تبني لا فيجري سياسة تبشيرية و أعلنها بوضوح بقوله لقد قضيت حياتي و أن أحمي البعثات التبشيرية الكاثوليكية في كل بحار الأرض، و لا يمكن أن أقبل اليوم أن تضطهد على أرض فرنسية³.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 67.

² - المرجع نفسه، ص 68.

³ - تركي رايح، المرجع السابق، ص 110.

حقيقة كلما جاء حاكم عام جديد ازداد تفننا في تلقين الجزائريين أنواعا الاستغلال والاهانة و المسخ العقائدي¹، لقد فرض الحاكم العام شان زي هو الآخر رقابة شديدة على رجال الدين الإسلامي في إطار مشروعه بإعادة تنظيم المدارس الإسلامية لإعطائها الطابع الفرنسي و لم يتسامح مع تعليم القران، فقد أصدر قرارات بمراقبة المدرسين و إعطائهم رخص التنقل² و لم يسمح لأي كان أن يفتح مدرسة قرآنية دون موافقة الوالي أو رئيس البلدية بعد إجراء التحقيق معه حول شخصيته³.

ازداد نشاط الحركة التبشيرية التي تحمس لها الأب لا فيجري، فقد انتهز هذه و جمع الأطفال الذين فقدوا ذويهم و جعلهم ينشؤون على الدين المسيحي و من هؤلاء الجزائريين كون لا فيجري طبقة جديدة من المبشرين عرفت بالآباء البيض و انتشرت في بلاد البربر⁴.

لم يخفي لا فيجري سياسته الهادفة إلى محاربة القران الكريم و الإسلام حيث قال :
لقد وجب إعادة بناء الشعب و فصم وقف حياتهم على القران الذي ارتبط منه منذ زمن بعيد، مستعملين كل الوسائل الممكنة، فلقد استطاع أن ينشر المسيحية بخطى واسعة و ذلك بإنشاء المراكز لليتامى يقوم من خلالها بتوجيههم و فق المصلحة الأوروبية⁵، كما أولى اهتماما خاصا بمنطقة معينة من الجزائر و هي منطقة القبائل، فلقد ركز المبشرون نشاطهم التبشيري والتنصيري على منطقة القبائل لأن سكانها أكثر قبائلية للاندماج لأن إسلامهم سطحي و أعداء قطريون العرب⁶.

¹ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص10.

² - Charles Robert Ageron, Les algériens musulmans et la France (1871-1919), II tomes, Paris, 1969, P.307-308.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص70.

⁴ - المرجع نفسه، ص72.

⁵ - شارل روبر أجيرون، المرجع السابق، ص108.

⁶ - المرجع نفسه، ص109.

لقد تم تحت إشراف لا فيجري تأسيس سبع جمعيات تبشيرية دينية في منطقة القبائل، و كان دو قيدون يعتقد كغيره من الكاثوليك المتعصبين أن سكان منطقة القبائل لا يبدون معارضة لمثل هذا العمل، منذ 1873 تأسس أول مراكز المبشرين عند القبائل آيت عيسى في تاقمونت تم توالت إقامة مثل هذه المراكز عبر كامل المنطقة¹.

جدول بين المناطق التي تأسست فيها المدارس الدينية و كلها في منطقة القبائل

المنطقة	المدارس	عدد التلاميذ
ذراع الميزان	بونوح- ذكور	35 تلميذ
ذراع الميزان	بن إسماعيل- بنات	65 تلميذة
فورناسيونال	أودهية- بنات ، بنات	25 تلميذة
فورناسيونال	آيت الأربعةاء - ذكور	40 تلميذ
فورناسيونال	أودهية- ذكور	105 تلميذ
فورناسيونال	تاقمونت عزوز - ذكور	125 تلميذ
جرجرة	أوردير- ذكور	84 تلميذ
جرجرة	أوغقن- ذكور	82 تلميذ

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص72.

3 / الإدماج Assimilation .

هو الأساس الذي قامت عليه سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر وذلك بإذابة الجزائريين في الكيان الفرنسي العام و بذلك لن تقوم للجزائر كجزء لا يتجزأ من العالم العربي الإسلامي قائمة يوم من الأيام ، بعد أن يسلم الجزائريون من دينهم و لغتهم و جنسيتهم¹.

أما الإدماج من الناحية السياسية فهو جعل الجزائريين سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا فرنسيين يتمتعون بالحقوق السياسية الفرنسية التي يتمتع بها الفرنسيون داخل بلادهم²، غير أن هذا الإدماج لم يطبق في الجزائر إلا على أرض دون الإنسان فاعتبرت الأرض الجزائرية فرنسية في حيث اعتبر الإنسان الجزائري من جنس منحط يجب إجلائه من أرضه و القضاء عليه.

وعليه فكانت السياسة الاستعمارية تريد دمج الأرض الجزائرية لا التسوية بين الجزائريين والأوروبيين³.

لقد اتبعت حكومة نابليون الثالث قد اتبعت سياسة إدماج حين أنشأت وزارة خاصة بالجزائر و ألغت وظيفة الحاكم العام ، و تسلم هذه الوزارة الجديدة جيروم شقيق نابليون الثالث من جوان 1858 حتى 1859 يقول نحن أمام قومية مسلحة وصلبة يجب إخمادها بالدمج⁴.

إن سياسة الإدماج بلغت أقوى مراحلها منذ أن صدر مرسوم إلحاق الجزائر إداريا بفرنسة سنة 181 و هو المرسوم الذي معمولاً به حتى سنة 126 و أصبحت كل إدارة في

¹ - تركي رابح، المرجع السابق، ص112.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص75.

³ - تركي رابح، المرجع نفسه، ص113.

⁴ - شارل روبيير أجيرون، المرجع السابق، ص110.

الجزائر تابعة للوزارة المختصة في باريس، كما استخدمت سياسة الإدماج بالمقابل لطمس السمات المميزة للمجتمع، فحورت جميع المؤسسات الإسلامية خاصة 1870-1890¹.

فالمدرسة التي أرادها الجمهوريين و على رأسهم جول فيري هي المدرسة التي تدعو إلى الإدماج الكلي الذي يشتمل جميع الميادين، فالسياسة الإدماجة كانت هي الفكرة الرائدة اتجاها و هدفا و أن التعليم هو العامل الرئيسي لتحقيق هذه السياسة الإدماجة².

ظهر تياران أخران يدعو كل منهما إلى الإدماج بطريقة الخاصة المختلفة عن طريق الجمهورية و رجال الدين و هي الثكنة و المعمل، فالتيار الذي يمثله العسكريون يرى أمكانية إدماج الجزائريين عن طريق إلحاقهم بالمؤسسة العسكرية، أما التيار الثاني الذي كان يمثله أرباب العمل يرى أن العمل يساهم هو الأخر في تحقيق الإدماج لأن المتدرب و المتعلم الجزائري يعيش مع معلمه أثناء تعلمه لحرفة معينة، و من هذا المنطلق بدأ الاهتمام بخلق الوظائف أكثر من خلق المدارس³.

أما عن أهداف سياسة الإدماج، فالإدماج كان السياسة الاستعمارية لفرنسا في الجزائر، خاصة و تعليم الجزائريين لا يخرج عن هذه السياسة الاستعمارية، لأن الإدماج هو الطابع الأساسي للسياسة التعليمية الفرنسية، و أكثر من ذلك فالعملية الإدماجة تهدف إلى جعل الجزائريين يقبلون بالحضارة الأوروبية و ذلك بتحويلهم إلى مواطنين بل رعايا يعرفون اللغة الفرنسية و لهم نفس العادات الفرنسية⁴.

إن الهدف للإدماج هو محاولة ضرب الوطنية المحلية و الدينية للجزائريين و القضاء على كل عامل يساهم في إبراز الوطنية الجزائرية، و عليه فقد طبقت فرنسا الإدماج في الجزائر على الأرض، وفرنسة البلاد في معظم مظاهر حياتها العامة و لكنها لم تطبق الإدماج

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص76.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص78.

³ - المرجع نفسه، ص78.

⁴ - تركي رايح، المرجع السابق، ص113.

بمعنى المساواة الحقيقية بين السكان الجزائريون و الأوروبيين و إنما طبقت على الجالية الأوروبية¹.

باريس هي التي فرضت تعليم الجزائريين في المدرسة المطابقة و المتشابهة للنموذج القومي و إذا كانت هذه إحدى عوامل فشل سياسة الإدماج، فأن الموقف الأوروبي كان سبب للإدماج هو ثاني أسباب الفشل، يعني إعطاء المواطنة الفرنسية بجميع ماتشمله من إيجابيات و امتيازات للجزائريين و رفعهم إلى مستوى الأوروبيين الشيء الذي يهدد هؤلاء الآخرين²، لأنهم يعتبرونه مسا بمصالحهم نوعا ما يؤدي إلى تقاسم السيطرة و النفوذ معهم، أما العامل الثالث فيمكن في الموقف الوطني الذي يمثل ميدان تجربة السياسة التعليمية الفرنسية و الإدماج نفسه، فيعتبر الجزائريون أن الإدماج و المدرسة الفرنسية عموما محاولة مقنعة تحت التعليم و الشفافة لطمس معالم ثقافتهم و سلخهم عن انتمائهم العربي الإسلامي³.

أمام هذه الأسباب فلم تنجح سياسة فرنسا الإدماجية لأن دعاة الإدماج أنفسهم كانوا مترددين بين الأخذ بها و التخلي عنها، و ظهر تناقضهم هذا في سياستهم التعليمية التي طبقوها على الجزائريين، فمن جهة يطالبون بالإدماج و يتحمسون له عن طريق مدرستهم، و من جهة ثانية يغلقون، و يصدون أبواب مدرستهم في وجه الجزائريين⁴.

رغم أن سياسة فرنسا التعليمية قامت على ثلاثة ركائز هي الفرنسية و التنصير و الإدماج⁵ إلا أنها في التطبيق العلمي لم تفتح أبواب التعليم الفرنسي في وجه الجزائريين إلا في نطاق محدود جدا، و عليه فالمسلم الجزائري من حيث المنطق و المعقول، هو مسلم جزائري و كفى⁶.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص79.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص89.

³ - تركي رايح، المرجع السابق، ص114.

⁴ - خديجة بقطاش، المرجع السابق، ص12.

⁵ - المرجع نفسه، ص12.

⁶ - تركي رايح، المرجع نفسه، ص115.

نستنتج ان المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري في الجزائر ركز منذ البداية حربه على اللغة العربية التي تعتبر وعاء الثقافة العربية، فقد قام الاستعمار بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة، وفضلا عن ذلك حاول الاحتلال تعزيز الغزو العسكري بالجزائر بالغزو الثقافي متبعا في ذلك وسائل وأهداف لتنفيذ السياسة التعليمية منها الفرنسية والتنصير.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الاستعماري

الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية.

- المبحث الأول: المقاومة الثقافية للمشروع

الاستعماري في الجزائر.

- المبحث الثاني: انعكاساته على الهوية الوطنية

الجزائرية.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

المبحث الأول: المقاومة الثقافية للمشروع الاستعماري الفرنسي في الجزائر:

كان للموقف الوطني دور هام في نجاح السياسة التعليمية أو فشلها لأنه يمثل حجر الزاوية في هذه السياسة ، فلقد أظهر الجزائريون بعض التحفظات في إرسال أبنائهم إلى المدرسة الفرنسية بعد أن تبين لهم جليا دورها في القضاء على شخصيتهم ، و كان موقفهم يشتد باشتداد الإجراءات التعسفية الفرنسية ضد التعليم العربي الإسلامي و اللغة العربية وكانوا يرون في محاولة تثقيفهم نوعا من المؤامرة تهدف القضاء على دينهم .

إن الجزائريين لم يرفضوا التعليم كعامل تثقيفي و إنما لأنه عمل سياسي تهدف السلطات الفرنسية من ورائه بتحويل الجزائريين إلى رعايا فرنسيين يخدمون المصالح الأوروبية دون إعطائهم حق المواطنة الفرنسية¹.

أولا : الرفض الوطني للتعليم الفرنسي

كان رجال الطرق الصوفية و الدينية هم المعارضون الأشداء للمدرسة و التعليم الفرنسيين خوفا من إحلال التعليم الأوروبي محل التعليم العربي الإسلامي خاصة بعد أن ظهرت للعيان سياسة الفرنسيين لمحاربة المؤسسات الثقافية الإسلامية².

¹ عبد القادر حلوش ، المرجع السابق، ص 116.

² أحمد مريوش ، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر ، ج1 مؤسسة كنوز الحكمة، ط1 ، الجزائر .
ص 213 ص 63 .

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

فالأوروبيون كانوا يرون في معلمي التعليم العربي أكثر الناس عداوة لهم¹ ، و كل المدرسون في منطقة القبائل كانوا متعصبين و جهلة² ، و كان المدرسون الجزائريون يبحثون أولياء التلاميذ على رفض المدرسة الفرنسية ، لأنها مدرسة الكافر و لأن السياسة الفرنسية كانت تعتمد أساسا على فصل الأطفال عن بيئتهم الإسلامية العربية و نشأتهم في قالب و محيط فرنسيين³ .

لم يشمل التخوف الوطني من المدرسة رجال الدين و مدرسي التعليم العربي الإسلامي فحسب و إنما كذلك الرؤساء و الحكام و العائلات و الأفراد ، و في سنة 1861 أوضح رئيس منطقة بوسعادة بعض حالة العلاقات الثقافية بين المجتمع المسيطر و المسيطر عليه ، يجب الاعتراف بوجود معارضة خفية للمدرسين في المدن لأن هذه الفئة هي التي تعمل على محاربة المدرسة الفرنسية⁴

لقد اعترف بيجو بقتل السياسة التعليمية و سياسة الإدماج سابقا ، لكسب أطفال الأسر المستنفذة ، عندما ظهرت فكرة إرسالهم للتعليم في المدارس فرنسا قصد تحضيرهم لعملية الإدماج ، مما أدى إلى التخلي عن هذه الفكرة و إغلاق المعهد 1848 بعد أن تم إرجاع التلاميذ إلى ذويهم و أستمروا رفض الجزائريين للمدرسة الفرنسية منذ الاحتلال ، و اشتد هذا الرفض عندما نصت مراسيم الجمهورية الثالثة على إلزامية التعليم ، الذي لم

¹ Turin ; yvrone ;OP CIT ; p218 .

² عبد القادر حلوش ، المرجع نفسه ص 117

³ - المرجع نفسه، ص 117.

⁴ - المرجع نفسه، ص 119.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

يتحقق ، منذ الاحتلال الفرنسي للجزائر حتى عهد الجمهورية الفرنسية الثالثة قاوم المجتمع الجزائري في المدن و الأرياف فقد نجحوا في مايلي¹:

- تأسيس مدارس مشابهة للمدارس في فرنسا .
- إقامة مدارس تقليدية عربية إسلامية تحت رقابة عسكرية .
- خلق مدارس تلعب دور الوسيط سميت بالمدارس العربية الفرنسية و هذا من أجل المحافظة على ثلاثة أشياء هي اللغة و الدين و العادات².

قد امتنعت بعض الأسر الجزائرية من إرسال أبنائها إلى مدرسة الفرنسية خوفا من أن تكون ذاب طابع تبشيري و ديني، و كان الشعور السائد آنذاك لدى البعض هو أن الذهاب إلى المدرسة الفرنسية معناها التعرض للخطر الكامن في إرسال الطفل الأهلي لفرنسا ليصبح عبدا و كان الجزائريون يخاطبون الفرنسيين بقولهم تريدون تربية أبنائنا في مدارسكم لكي تغلطوا أفكارنا وتبعدونا عن معتقداتنا الدينية و تعلموهم على أن لا يحترمونها، فلن نرضى بذلك³.

إن رفض الجزائريين إرسال أبنائهم إلى المدارس الفرنسية مرتبط برفضهم الاحتلال الفرنسي و يعترف بهذا الموقف الوطني السيد ابن رحال⁴ بإمكان الجزائر الحصول على

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 64.

² - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه ، ص 120.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 120.

⁴ - ابن الرحال: 1896 - 1920م، شخصية نخبوية ربطت بين العربية والفرنسية، تولى مهامها في الادارة الفرنسية، قدم دعوة التصورات حول اصلاح حال الجزائريين، طانت له نظرة هامة حول اصلاح التعليم في الجزائر، ينظر: عبد القادر جغلول، تاريخ الجزائر الحديث، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ص 60.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

التعليم في الوقت الحالي، لكنه لا يطالب به لأن معرض إلى فخ من نوع جديد منصوب لسلب قومه و دينه .

كان الجزائريون يعتقدون أن فتح مدرسة فرنسية جديدة و دعوة أبنائهم إليها هو محاولة جديدة للاستعمار ، متسائلين عن محاولات الفرنسيين في تطبيق إجبارية التعليم و ممارستهم لإجراءات تعسفية و قاسية لالتزامهم على الالتحاق بالمدارس و خاصة المتمسكين بتعليمهم العربي الإسلامي ، و ذلك محاولة لتمسيحهم و تنصيرهم و عليه فالمجتمع الجزائري لم يكن متسامحا في نشر التعليم الفرنسي.

إن التعليم الفرنسي لم يكن مهما عند الجزائريين كتعليم في حد ذاته و إنما لم يكن هؤلاء يفهمون دائما بضرورة التعليم الإجباري ، و لا الدوام الرسمي و المنظم له ، و لم تستطع المحاولات التي جاء بها مرسوم 1883 ، أن يلتقى أذانا صاغية ، فالجزائريون شبه رافضون لمبادئ التعليم الإجباري و لا مقتنعين بفكرة الحياد الديني ، لأنهم كانوا يؤمنون بالطابع الديني للثقافة ، و عليه فمن الصعب عليهم تقبل تعليم غير ملهم ببعض المعتقدات الدينية¹ .

كان الجزائريون يجذرون من التعليم الفرنسي و خاصة عندما منع التعليم القرآني و أهمل اللغة العربية، و تمثل رفض الجزائريين للمدرسة في مقاطعتها بحيث أن نسبة الحضور بهذه المدارس كانت قليلة في كامل تراب الجزائري و خاصة منطقة الجنوب حيث يشتد التمسك بالدين و التقاليد العربية الإسلامية، و يمكن أن نستثني منطقة القبائل التي ركزت السلطات الفرنسية عليها ، ففي منطقة جرجرة نجد حوالي 18 و 53 تلميذ في القسم، و في تيزي وزو كان عددهم 46 إلى 44 في العاصمة 1906م.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 121.

كل المناطق التي كانت تزخر بالمدارس العربية الإسلامية كمدينة قسنطينة و تلمسان خاصة هي التي ارتفعت فيها نسبة الغياب في التعليم الفرنسي و تقول التقارير المفتشين الابتدائيات للمدارس الفرنسية، أنه ليست كل نسب الحضور المقدمة صحيحة، لأن المدارس لم تكن تملأ إلا قسرا أو أثناء المناسبات أو زيارة مسؤولي التعليم و بعد ما تهجر المدارس كعادتها و لم يكن الرفض الوطني للمدرسي إلا مظهرا لمقاومة ثقافية أكثر عمقا ووزنا تستمد قوتها من النفوذ الديني ، و من بين القوتين التي واجهتا الاحتلال الفرنسي بالجزائر نجد الزوايا و الطرق الصوفية إضافة إلى العلماء و المصلحون في القرن 20¹ .

ثانيا : مطالب الجزائريين

عرفت الجزائر عدة ردود أفعال و برزت مطالب ملححة على إشراك أبناء الأهالي في المدارس التعليمية و برزت جماعات مثقفة شكلت فيها بينها أشبه مايكون بالرابطة تدعو من خلالها إلى ضرورة و نشر التعليم بين الجزائريين و لعل من بين هذه الشخصيات نجد أحمد ابن بريهمات² الذي أفصح عن موقفه الصريح من مرسوم 13 فبراير 1883 الخاص بالتعليم الإجباري لم نعمل شيئا للعرب ، لا توجد سوى بعض المدارس الفرنسية للأهالي ، بالرغم من أن الوجود الفرنسي كان قد مر عليه أكثر من نصف قرن ، فأين التمرن و الحضارة التي ادعت رسالتها الحكومة الفرنسية فلقد أوضح بن بريهمات عن موقفه من تعليم الجزائريين بقوله في رأي أنه يجب إلزام العرب بتعلم اللغة العربية مع اللغة الفرنسية في نفس الوقت الذي يتحتم معرفتها بالضرورة³ .

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 68.

² - أحمد بن بريهمات: هو أحد أبناء حسين بن بريهمات الذي لعب دورا في الحياة العامة كمتقف مزدوج و من أهل الحضرة، و من الذين دافعوا عن الشخصية الجزائرية ينظر: أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج6 المرجع السابق ص249.

³ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 67.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

طالب ابن رحال الإدارة الفرنسية بتحقيق مطالب الجزائريين في التعلم ، لأنه إذا ما قامت بتنظيم التعليم العربي الإسلامي و الاعتناء به مثل اعتنائها بالتعليم الفرنسي تجعل الجزائريين لا يعتبرون التعليم الفرنسي عاملا تخريبيا لمعتقداتهم و دينهم أو عامل تقليل من قيمتهم الفكرية¹ و إنما كمساعد ضروري و هام مكمل لثقافتهم و معارفهم و لتصبح أكثر شمولاً².

الواقع أن المطالبة بالتعليم لم تكن تخص الأطفال الذكور وحدهم و إنما تعدت هذه المطالبة لتشمل الإناث منهن ، خاصة و أن تعليمهن كان شبه معدوم ، فحتى سنة 0.8% لأن المراسيم التي صدرت في 1883 و 1887 أهملت جانب تعليم البنات ، و بسبب الإهمال المتعمد كتب و لأول مرة أعيان مدينة عنابة في 1907 يطالبون بخلق مدارس للبنات فقد كان أعيان مدينة عنابة يزودون ماييلي :

- التعليم لكل أبنائهم³.
- أن تعليم و تربية بنات الأهالي يعتبر مسألة رئيسية للوصول إلى جعلهن خادمت بيت و متعلمات و ذات خبرة .
- أن ظروف المرأة الأهلية لا تتحسن إلا عندما يصبح بإمكانها أن تفيد المجتمع بعد أن تفرض وجودها في المحيط العائلي .
- أن المدارس الأوروبية البعيدة عن المراكز الإسلامية لا تناسب بنات الأهالي .
- أن المدارس الأهلية الخاصة بالبنات تعتبر ضرورية و ملحة أكثر من مدارس الذكور .

¹ - عبد القادر حلوش , المرجع السابق , ص 123.

² - المرجع نفسه، ص 125.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 125.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

أن هذا الموقف الواعي و المدرك لأهمية التعليم و خاصة عند الأطفال البنات يعد الأسطورة التي صنعها الاستعمار ، و التي مفادها أن الأهالي يعتبرون من جنس غير قابل للتعليم أو الرفض له¹، ولم تكن هذه المبادرة غريبة لأن صحاح الجزائريين إلى التعليم برزت أكثر كلما أهمل الاستعمار و أسقط من حساباته هذا الجانب الهام من حياة المجتمع .

ظلت مقاطعة الجزائريين للمدرسة الفرنسية و لو أن حدثها نقصت بعض الشيء مقارنة بالماضي إلا أن سياسة التجهيل الفرنسية قد ضحت بثلاثة أجيال من الجزائريين منذ الاحتلال حتى مطلع القرن العشرين ، و مثال ذلك نذكر الأستاذ الدكتور عبد الله الركبي بقوله أخرجني أبي من المدرسة الفرنسية رغم تفوقي بها لمجرد أنه اختبرني في القرآن فوجدني قد نسيت بعض الآيات لهذا حرمني من الدراسة في المدرسة الفرنسية ثم أرسلني إلى جامع الزيتونة بتونس ، و ذلك كانت حصة أبناء الأهالي من مقاعد الدراسة ضئيلة جدا مقارنة مع العدد المخصص لأبناء المعمرين².

النسبة المئوية	المسجلون في الدراسة	من هم في سن الدراسة	
84%	531.78	531.93	الأوروبيون
8.3%	650.245	900.331.6	الجزائريون

أمام كل التجاوزات الفرنسية في حق تعليم الأهالي فإن ردود الفعل الجزائرية كانت واضحة و تجسدت في ميادين عديدة منها: مقاطعة المدرسة الفرنسية، و إرسال العرائض

¹ - صالح فركوس : محاضرة في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر 1830-1925. مديرية النشر لجامعة قلمة. 2010 ص 150.

² - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 68.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

لفرنسا يطالبونها فيها إصلاح أوضاع التعليم، كما أن الجزائريين لم يباركوا سياسة فرنسا التعليمية واعتبروها سياسة مححفة في حق أبناء الجزائريين، بل كانت في خدمة أبناء المعمرين. تعتبر برامج محمد بن رحال أشمل و أدق ممن سبقوه من الجزائريين فمن بين اقتراحاته تنظيم التعليم في المدارس الرسمية الثلاثة الموجودة في تلمسان، الجزائر قسنطينة كما أترح تحديد مدة الدراسة ، مع فتح الأفاق لاستقبال أكبر عدد ممكن من الجزائريين و المطالبة برفع عدد المأطرين الجزائريين، وفتح الأفاق أمام علماء الجزائر باعتبارهم يملكون من الخبرة الواسعة و هم من خرجي المعاهد العليا كالزيتونة بتونس، و كان ابن رحال يدعو إلى توظيف، الجزائريين وإجبارية اللغة العربية إلى جانب الفرنسية¹.

لقد دعي ابن رحال في مشواره المطلي جنبا إلى جنب مع زملائه من رجال النخبة و قتئذ أمثال الدكتور موسى و القائد حمود و الأمير خالد⁷ و طالبوا أبطال الإجراءات التعسفية و المطالبة بتعليم القران للأهالي ، ودعا ابن رحال إلى ضرورة تعميم التعليم ليصل إلى القرى و المداشر².

إن التعليم في الثانويات منذ بداية القرن لم يستقطب الأهالي الجزائريين ، و خلال سنوات 1890- 1900 بلغ متوسط العدد الإجمالي للطلبة الثانويات الجزائريين 84 أطباء وارتفع العدد ليصل إلى 100 خلال سنة 1905 و في سنة 1907 بلغ مايقارب 134 ليضل العدد إلى 149 طالبا خلال سنة 1908، حيث اقترن التعليم بسياسة الاندماج والتجنس وصل عدد التلاميذ في الثانويات الفرنسية محتشما بسبب القضية الجزائرية و

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق ، ص69

² - المرجع نفسه، ص 69.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

المكونات الشخصية من جهة و في سنة 1929 وصل عدد الطلبة إلى 725 ليرتفع سنة 1932 إلى 949 تلميذ. وهذا الجدول يمثل نصيب الجزائريين من التعليم الثانوي¹.

السنة	العدد
1899	86 تلميذ
1914	386 تلميذ
1930	776 تلميذ

حقيقة أن الوجود الفرنسي في الجزائر كان وجودا إستدماريا تجاه مؤسسات التعليم الوطنية المختلفة ، كما أن ظروفات فرنسا التعليمية كانت لخدمة المعمرين على حسب الأهالي فنجد محمد فريد الزعيم المصري حينما زار الجزائر سنة 1901 حمل فرنسا المسؤولية الكاملة في الحالة السيئة التي وجد عليها قطاع التعليم العربي و كتب يقول أن ربوع العلم كانت أهلة بالطلاب و الجوامع القطر الجزائري مآلاً بالمعلمين و المتعلمين ، و دور الكتب عامرة بالمؤلفات و المطالعين.

نجد أيضا مدير معهد بوزريعة لتكوين المعلمين بول برنار لقد كشف عن سياسة فرنسا التعليمية و أبرز مخططاتها الهادفة للقضاء على بقايا الإرث الحضاري للجزائريين و تكوين عقلية بمفاهيم لائكية محضة².

¹ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 71.

² - المرجع نفسه، ص 72.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

ويبين ذلك بقوله إن مدرسة الأهالي الفرنسية ليست مدرسة عادية لتلقين اللغة الفرنسية فحسب ، بل هي تهدف إلى أن تفعل ثقافة فرنسية فعلتها في أرواح أبناء الأهالي و تعمل على تحريرها قدر ما يلزم و الزج بهم في أعماق الثقافة العقلانية و بل أننا على يقين جازم بأننا نسعى إلى أن نضع لها رجالا فمهمتنا إذا ليست فرنستهم بقدر ما هي محاولة لتوفير الوسائل لديهم كي تتطور وضعيتهم المادية و نقر بهم من فرنسا أكثر ، يجب أن بالنسبة إليهم في كلمة واحدة معلمين مثاليين¹.

تعد مرحلة الثلاثينات حلقة جديدة سعت لتقوية الفعل الثقافي و تقوية الحصانة الفكرية و الدينية المدعمة بالوطنية ، فنجد مافعلته جمعية العلماء المسلمين من إرساء أسس جديدة لإنماء الوعي الوطني عبر قنوات كثيرة من بينها حركة التعليم العربي الحر الذي فاق صداه حدود الجزائر و جعلت الجمعية من المدرسة الجزائرية الحرة حصنا منيعا أمام تخريب المدرسة الفرنسية حتى أدى ذلك للفرنسيين إلى القول أن الوطنية الحقيقة كانت مصدرها المدرسة الحرة التي كانت تشرف عليها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين².

لقد اعتمدت الجمعية على تحقيق أهدافها التعليمية على تطبيق ثلاثة أسس هي " الجزائر وطني و العربية لغتي و الإسلام ديني "

كما وفرت جملة من القنوات لإنجاح هذا المشروع الذي خاطب العقل و نبه الضمير و أيقن الهمم في نفوس الناشئة و لم تعتمد المدرسة وقتها على الجانب التقليدي بل أنصفت العقل

و المنطق و الظرفية التي تحاك ضد الجزائريين و تنوع قنوات الحقل التوعوي³.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830 - 1954 م)، ج2، المرجع السابق، ص 304.

² - عمار هلال، أبحاث ودراسات في تاريخ الجزائر المعاصر 1830 - 1962م، المرجع السابق، ص 118.

³ - أحمد مريوش، المرجع السابق، ص 73.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

لإنجاح مشروع المدرسة الحرة سعت الجمعية إلى نشر التعليم على أوسع نطاق، كما دعمته بالعمل الدعوي و نشر حلق التدريس و الوعظ في المساجد ودور التربية وأنشأت لذلك الصحافة العربية اللسان لنشر التوعية و تبليغ القراء بما يدور في أرجاء الجزائر و البلاد العربية والإسلامية و قد تولد عن ذلك بروز العديد من الأقلام و الكتاب و الشعراء ، مما ساهم في تنمية الحركة الثقافية و الفكرية و بناء الذات المؤسسة على مرجعية حب الوطن ورفض الطرف المحتل¹.

لقد رسمت الجمعية العلماء المسلمين الجزائريين نمطا جديدا في سياسة التعليم و التفكير في مواصلة الدراسة بعد فتح دار الحديث بتلمسان و معهد ابن باديس بقسنطينة و كل جانب معهد ابن باديس فتح المعهد الكتابي أو المدرسة الكتابية ، كما كانت الجمعية تعقد مؤتمرات سنوية خاصة بالتعليم العربي لدراسة الحصيلة ووضع أطراف² جديدة في مجال المنهجية التقويم والبيداغوجي و الاستفادة من خبرات الشرق و لقد أشار إلى ذلك فرحات عباس بقوله "فتحت هذه الجمعية مئات المدارس و كان برنامجها بتخلص في الرجوع إلى العروبة و الإسلام و كانت ترى في العروبة نفيسة النجاة لشعب عربي و لا تنكر فضل الثقافة الفرنسية و لكن تكون هذه الثقافة زائدة و تكون بمثابة باب مفتوح للعلوم التقنية والعصرية³.

¹ - أحمد مريوش، الحركة الطلابية و دورها في الحركة الوطنية و ثورة التحرير، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر 2007 ص30.

² - أحمد مريوش، جمعية العلماء و دورها في الحركة الوطنية الطلابية، مجالات الرؤية، العدد 2، جوان 1996، ص 115.

³ - الشيخ محمد الابراهيم، سجل المؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتاب، الجزائر، ص114.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

هكذا كان الموقف الجزائري دور هام في فشل السياسة التعليمية الفرنسية فقد نظروا إلى المنصرين و مدارسهم نظرة عداوة و خوف، فقد أظهروا بعض التحفظات في إرسال أبنائهم إلى المدرسة الفرنسية بعد تفتنهم أنها ضد التعليم الإسلامي واللغة العربية ، كما كانوا يرون في محاولة تثقيفهم نوعا من المؤامرة تهدف إلى تحويلهم رعايا فرنسيين ، وكانوا مقتنعين أيضا أنهم لا يستفيدون شيئا في ذهابهم إلى المدرسة الفرنسية و هذا باعتراف المبشرين أنفسهم فقد ذكروا أن اهتمام الجزائريين بإرسال أبنائهم إلى المدارس التي أسست لغاية تنصيرهم اهتمام ضعيف فهو لا يوازي الأهمية التي يوليه المبشرون لهذه الوسيلة في الجزائر¹.

الحقيقة التي لا يمكن إنكارها أنهم لم يقبلوا بالتعليم الفرنسي لأن مطلبهم الأساسي و الوحيد كان المحافظة على التعليم العربي الإسلامي و لغتهم العربية²، وهذا عن طريق رفضهم لكل أشكال التنصير هذا ما أكده الكولونيل هانوتو في رسالته للجنرال بوريل 28 مارس 1868 حول رد فعل قرية بني فراح بالأربعاء عندما سئلوا عن إذا كانوا يقبلون وجودنا بينهم فيقول " جن جنونهم وقفت أصواتهم و دمعت عيونهم و قالوا الأحسن أن نغادر البلاد الأحسن أن نموت ، هذا دليل على تمسك الجزائريين بدينهم³.

نجد ما ورد في مذكرات إحدى المدرسات اللواتي أرسلت إلى منطقة القبائل للتدريب بقولها " إنني عنيت للتدريس في قرية نائية من قرى منطقة القبائل و ذات صباح كان على أن أقدم درس عن الصليب و المسيحية فأخذت أردد عبارات الأب، الإبن، و روح القدس فلاحظت أنني كلما ذكرت كلمة ابن الله انفجر الصبيان بالضحك فاستغربت و اقتربت من طفلة و سألتها عما تضحكين و يضحك الجميع ؟ فأجابتن بسخرية و قالت " يا سيدي الله

¹ - أحمد مريوش، دراسات و أبحاث في تاريخ الجزائر الحديث و المعاصر، ج1، المرجع السابق، ص81.

² - المرجع نفسه، ص 82.

³ - فرحات عباس، ليل الإستعمار، ط1، دار القصة، 2005، ص95.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

و ابن الله ، فهل يعقل أن يكون لله أبناء ؟ و قد أيقنت من ذلك اليوم أنه من المستحيل أن يتحول أبناء هذا الشعب عن دينهم الذي ورثوه بالفطرة، هذا ما جعل هذه المدرسة تطلب نقلها إلى مكان آخر و إعفائها من مهمة التنصير¹.

من أهم مظاهر رفض الجزائريين للنشاط التنصيري و نفورهم من رجال الدين المنصرين ما حدث لعجوز جزائرية مع قصيص فرنسي الذي قدم لها مساعدات مالية لأن ابنها انقطع عن إرسال النقود لها فساعدتها القصيص بشرط أن تحضر القداس كل يوم لحضور الصلاة ففعلت ذلك ثم انقطعت عن الحضور فقابلها في يوم من الأيام و سألها عن سبب انقطاعها ؟ فأجابته بكل صراحة و عفوية فقد بعث و الحمد لله ابني الحوالة فثارت نائرة القصيص وقال لها " إذا لم تستمري في الحضور إلى الصلاة فسأجبرك على إرجاع المساعدات التي أخذتها².

فردت قائلة أنا أخذت المساعدة مقابل حضور صلاتهم فتعالي أنت إلى مسجدنا يوم الجمعة فأرجع لك ما أخذته³.

نجد أيضا الزوايا و دورها في المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية الجزائرية من التفسخ و الذوبان في دائرة التبشير في القطر الجزائري ، حيث درست القرآن و نشرته بين الأجيال و علمتهم بعض العلوم الدينية و احتضنت الفقهاء فتخرج منها أجيال مثقفين

¹ - أحمد محساس، الحقائق الإستعمارية و المقاومة، دار المعرفة، 2007، ص 69.

² - صالح فركوس، المرجع السابق، ص 153.

³ - محمد طاهر و علي، المرجع السابق، ص 208.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

وارتبط البعض منها بحركة النهضة الفكرية الإصلاحية و كان للزوايا دور في رفض التنصير¹.

* موقف الكولون الأوروبي :

لقد تباينت مواقف الكولون بين المؤيد و معارض حول السياسة التعليمية الفرنسية و قد تجلت.

أ - الموقف المعارض:

بدأت المعارضة الأوروبية لتعليم الجزائريين منذ 1850 منذ تاريخ صدور المراسيم لتستمر في العهد الجمهوري الثالث تبنى رسالة التعليم و تمدين الجزائريين و اعتبرت هذه المعارضة أن التعليم الجزائريين لا يعود بفائدة المستعمرة بقدرها يجلب لها أخطار ، وعلى هذا الأساس أهملت الحركة التعليمية الفرنسية العنصر الوطني ، فقد كان الكولون يعادون حتى المكاتب العربية التي كانت تتعامل مع الجزائريين بشكل لم يرضهم²، فقد كانوا يريدون تأسيس المدارس الجديدة و إغلاق المدارس الموجودة ، ففي سنة 1880 طالب الكولون بتطبيق قوانين الحرب على الجزائريين بدعوى أنهم لا يزالوا في حالتهم الوحشية و أنه لمن الجنون تطبيق قانون تحضير هؤلاء المتوحشين³.

شهدت فترة ما بين 1894-1898 أكبر موجة من المعارضة الأوروبية لتعليم الجزائريين و تثقيفهم ، و عبر الأوروبيين عن رفضهم و معارضتهم للتعليم الجزائري في

¹ - يسلي مقران، الحركة الإصلاحية في منطقة القبائل (1920-1945)، دار الأمل، الجزائر، 2007 ، ص157.

² - سعيد مزيان، النشاط التنصيري للكاردينال لافيغري في الجزائر (1867-1892)، دار النشر للطباعة، ط1، 2009، ص231.

³ - المرجع نفسه، ص412.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

الصحافة المحلية الناطقة بلسانهم ، و اعتبروا أن التعليم المعطى للجزائريين تعليما نظريا و نادوا بتطبيق التعليم المهني و اليدوي¹.

لم يكن يهم الكولون سن تعليم الجزائريين إلا ما يخدم مصالحهم ، أي تعليمهم الأعمال الفلاحية و ذلك لمنافسة اليد العاملة الأوروبية غير الفرنسية و رفضهم لهذا التعليم لأنه سلاحا يستخدمونه ضدهم و قد تمثلت مطالب المعمرين في تقديم تعليم أولي و بسيط لأن تعليم الجزائريين القراءة و الكتابة هو في حد ذاته بدخ².

وقد كتب المفتش الابتدائي لمدينة سطيف في تقرير له مايلي لا يجب إعطاء التعليم الكامل للعرب و القبائل ، لأننا لا نريد ان نجعل منهم علماء أو بمعنى آخر عاطلين و متمردين و يقول أيضا لا بد من البرامج المستوردة من باريس و المناهج الابتدائية التي ليست في مستوى هذا العقول الخشنة ، إذا يجب أن نختار التعليم الفلاحي و المهني الذي يتناسب مع احتياجات لهذا البلد ، إذا يجب أن نعرف بماضينا وقوتنا الاقتصادية و العسكرية عن طريق تعليم اللغة الفرنسية و بعض المبادئ الأولية في التاريخ و الجغرافيا ، أما التعليم المهني المطالب به فكان يهدف إلى تزويد الكولون بخدام مزارع و بنائين و كلهم من أجل الكولون و ذلك من أجل :

- أن يكون تطبيقا حتى يعمل على تكوين يد عاملة يستفيد منها الاستعمار.

- أن يكون فعالا و سياسيا، أي قادرا على غرس فكرة الخوف من فرنسا في أذهان الجزائريين³.

¹ - عمار عمورة، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 57.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 105.

³ - المرجع نفسه، ص 105 .

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

ب - موقف المؤيد:

إلى جانب المعارضة الشديدة للكولون في أمر تشقيق الجزائريين و تعليمهم كانت هناك مجموعة أخرى من الكولون ترى ضرورة تعليم الجزائريين لتفادي خطرهم و كسب ولائهم إلى فرنسا ، فعندما يتعلم الجزائريون بالمدارس الفرنسية يصبحون مساعدين فعالين للكولون الفرنسيين الذين يستخدمونهم ، ولم يكن الكولون الأوروبي يستغني عن اليد العاملة الجزائرية الرخيصة لهذا اهتم بعضهم بتعليم الجزائريين لجعلهم أكثر قابلية للاستغلال و الاستخدام¹ .

لقد كتب أحدهم يقول مخاطبا الفرنسيين الذين تجاهل قضية تعليم الجزائريين خذوا حذرکم أنتم الذين تريدون ترك الشعب الجزائري في الجهل ، فأنتم الذين ستصبحون مهددين² . ألا ترون كيف يمكن أن تجعل من غبي ساذجا غبيا متوحشا و كان الأوروبيين يسمحون بتعليم الجزائريين بالقدر الذي يناسب مصالحهم و احتياجاتهم لأن تعليم الجزائريين يساهم في مهمة فرنسا الحضارية بالجزائر حد زعمهم .

فالتعليم الذي كان يقصده الكولون هو الذي يجعل من الجزائر عنصرا فعالا للمستعمرة و مساعدا و فيا لفرنسا ليعمل وفق غاياتهم³ .

¹ - محفوظ قداش، جزائر الجزائريين (1830-1954)، الجزائر، 2008، ص 235.

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 105

³ - المرجع نفسه، ص 123.

المبحث الثاني: انعكاسات السياسة التعليمية الفرنسية على الهوية الوطنية.

أولا : الانعكاسات الدينية والثقافية.

حيث تعرضت المؤسسات الدينية للهدم و التخريب و التدمير و كان على رأس هذه المؤسسات المساجد و الجوامع و الزوايا و بالتركيز على هذه المؤسسات الدينية من طرف الاحتلال كان يهدف إلى ضرب ركيزة الجزائري و هي الدين الإسلامي، خاصة بعد معرفتها بأن دور هذه المؤسسات هو الحفاظ على مقومات المجتمع الجزائري ، بالتالي فالقضاء عليها يعني القضاء على معالم كثيرة¹.

لقد كان وراء عملية الغزو نشر المسيحية و من وراء هذه السياسة هو طمس الشخصية الوطنية الجزائرية و بالتالي انعدام الوعي القومي و الوطني عند العامة حتى يتسنى لها الجؤ التنصيري الجزائريين ، و بذلك فتح أبواب الجزائر² على مصرعيها في وجه الهيئات التبشيرية و من بين انعكاسات الدينية مايلي :

- تبني سياسة تبشيرية رسمية و إسناد المهمة إلى قساوسة الدين و حتى العسكريين والسياسيين³.

- الاستيلاء على أوقاف الدين و تكوين نخبة من رجال الدين لخدمتهم، فقد كونت طبقة رسمية منهم أو وكلت إليهم إدارة المساجد و مراقبة الزوايا الحرة و رجالها و إلزامها بالتعامل مع إدارة الشرطة الفرنسية ضد إخوانهم من الأهالي

¹ -Turin ; yvonne ; Ipid ; p539 .

² - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص107.

³ - بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930) و انعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، ص137.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

- السعي في خراب المساجد و تدميرها و تحويل البعض منها إلى ثكنات عسكرية وإسطبلات فمدينة الجزائر سنة 1830 كانت تضم 13 مسجدا جامعاً¹.

لقد ركزت السياسة الفرنسية منذ الأيام الأولى للاحتلال على الجوانب الثقافية خاصة أن الوثائق المتوفرة عن الجزائر 1830 تشهد ان بلادنا ازدهرت فيها الثقافة التي التي تستمد قوتها من التراث العربي الإسلامي و لكن التيار الذي أتاها كان مخرباً فهي تصبوا في النهاية إلى نقطة واحدة و هي المحو الكامل للشخصية الجزائرية المسلمة ، فالشعب الجزائري في هذه الفترة كان يولي اهتمامه بالدرجة الأولى بشئ واحد و هو الدفاع عن النفس و الكيان و البقاء².

و أهم ما ركزت عليه السياسة هو ضرب مقومات الشخصية الوطنية المتمثلة في اللغة العربية و الدين الإسلامي³ ، فكانت أهم القضايا المطروحة في فرنسا اتجاه الثقافة في بلادنا هي قضية الدين و اللغة ، ففي الوقت الذي أغلقت فيه الكنائس القرآنية و حوربت الزوايا و خضعت المدارس الإصلاحية لمراقبة مشددة للحد من نشاطها الثقافي ثم فتح العديد من المدارس الأوروبية و إنشاء مراكز تبشيرية⁴

و باعتبار اللغة العربية و الأمة أمران مثلاً زمان ، و اللغة هي العامل الأساسي في تكوين المجتمع يفقدان هذا العنصر تفقد الأمة ذاتيتها⁵، لذا عملت فرنسا على وضع بدائل

¹ - تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص 191.

² - شارل رويبر أجرون، المرجع السابق، ج1، ص 541.

³ - يحيى بوعزيز، سياسة التسلط الإستعماري و الحركة الوطنية (1830-1954)، المرجع السابق، ص 41.

⁴ - أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية (1962-1972)، ت: حنفي بن عيسى،

الجزائر، 1972، ص 19.

⁵ - جمال قنان، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619-1830)، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع، الجزائر، 1967،

ص 38.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

السلخ المجتمع الجزائري عن ثقافته العربية التي كان التعليم العربي أحد أبرز معالمها و تمثلت هذه البدائل في تطبيق سياسة تعليمية قائمة على فرنسة الفرد الجزائري بكل الوسائل المتاحة¹، فقد صرح

أحد القادة قائلاً علموا لغتنا و أنشروها تحت حكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة². تطهير سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر في مايلي :

- الاستيلاء و القضاء على معظم معاهد العلم و التعليم التي كانت قائمة في الجزائر و المتمثلة في المدارس والجوامع و الزوايا و الكتاتيب القرآنية

- فرض نظام تربوي مسيحي على الجزائريين جلبته معها فرنسا، مما جعل معظم العائلات الجزائرية لا ترغب في إرسال أبنائها للتعلم في مدارس فرنسا³ لأن معظم هذا التعليم ليس فيه شيء من اللغة العربية و لا ثقافة إسلامية.

كانت غاية فرنسا من الاحتلال هي طمس المعالم الثقافية للشعب الجزائري و بالتحديد القضاء على اللغة العربية التي كانت اللغة للدولة الجزائرية و الشعب الجزائري و محاولة محو الشخصية الجزائرية و ذلك بفرنسة الألسنة و العقول من أجل إحلال الثقافة الفرنسية، و بذلك تكون قد قضت على اللغة العربية و فرضت اللغة الفرنسية و بسبب هذه السياسة تعرضت المؤسسات الثقافية الجزائرية للهدم و هي التي كانت تشرف أساسا التعليم و تكوين الطلبة⁴.

1 - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، المرجع السابق، ص32.

2 - بوضراية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930)، المرجع السابق، ص 128.

3 - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 72

4 - آسيا مسكين، حركة الإستيطان الفرنسي في الجزائر (1830-1870)، مذكرة تخرج لنيل شهادة ماستر في

التاريخ الحديث و المعاصر، جامعة تيارت 2015-2016، ص 84 .

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

نجد في مدينة قسنطينة عاصمة الشرق الجزائري قبل الاحتلال تحتوي على 30 مدرسة ابتدائية، كما كانت تضم مدينة عنابة حوالي 30 مدرسة و 37 مسجدا ولم يتبقى منها سوى 3 مدارس¹، فقد كانت فرنسا تريد نشر الثقافة الفرنسية و التعليم الفرنسي لضمان إدماج الجزائريين بالفرنسيين، هذا ما جعل معظم العلماء يجبرون على الهجرة إلى بعض الدول العربية².

أيضا نجد سياسة التجهيل التي كانت تتوافق مع الأساليب الاستعمارية العامة والتي كانت تهدف إلى إبقاء الاستعمار فترة أطول في البلد ، فقد سلب الشعب الجزائري كل ما يملك من الأراضي و أملاك و خيرات و كذلك طبق في ميدان الثقافة و ذلك بمحاربة لغة البلاد وثقافتها القومية العربية و نشر اللغة الفرنسية بدلا من العربية و من بين الوسائل التي تبنتها هي القضاء على معاهد الثقافة و المدارس و المساجد ، كما قامت فرنسا بتكوين نخبة مثقفة تخدم فرنسا ، من أجل محاربة التعليم العربي، و كذلك قامت بتكوين فئة من الموظفين في الإدارة الفرنسية³.

و نتيجة للوضع المزري و السيئ الذي وصل إليه العلماء اضطروا إلى الهجرة إلى أماكن أخرى⁴ فمنهم من أنتقل مع الأمير عبد القادر فلع يبقى من العلماء في الجزائر إلا قليل⁵.

¹ - بوضراية بوعزة، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830-1930)، المرجع السابق، ص 125.

² - المرجع نفسه، ص 129.

³ - يحي بو عزيز، سياسة التسلط الاستعماري 1830-1954 ، المرجع السابق، ص 60.

⁴ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)، ج4، المرجع السابق، ص 365.

⁵ - يحي بو عزيز، موضوعات و قضايا من تاريخ الجزائر، ج4، المرجع السابق، ص 30.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

قامت فرنسا بالتردد على فرنسا دورية تنظيمها السلطات الفرنسية بالجزائر من أجل الاتفاق مع حكومة باريس ، فهذا من أجل تعليم هؤلاء و التأثير فيهم حتى يصبحون طبقة موالية لفرنسا¹ لقد قام الكاردينال لافيغري بتأسيس جمعية الآباء البيض التي انتشرت في شمال إفريقيا و فتح مدارس التكوين المهني و محاولة تقرييهم من النصرانية من أجل تنصير الجزائريين بالتعليم المسيحية إذا قال الجنرال بيجو : إن أيام الإسلام قد دنت خلال عشرين عاما لكي لا يكون للجزائر دين غير المسيح و نحن إذا أمكننا أن نشك أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك أنها قد ضاعت منا السلام للأبد².

لقد قامت السلطات الفرنسية بتقديم تسهيلات للجمعيات التبشيرية و المسيحية منها:

جامعة الجزوية: فقد استقرت هذه الجمعية بقسنطينة ووصلوا إلى وهران حيث أسسوا فيها كولويجا ضم حوالي 1500 تلميذ، كما أسسوا كوليج آخر بالجزائر العاصمة³.

أخوات العقيدة المسيحية: اشتغلت بالتعليم في شرق البلاد و غربها و بلغ عدد مؤسسها عبر كامل التراب الوطني 18 مؤسسة، إضافة إلى جمعيات أخرى اهتمت بالتعليم في ظاهرها، لكن باطنيا عكس ذلك هي محاولة نشر المسيحية و القضاء على الإسلام.

جمعية الراهبان الثالوثيات استقرت بوهران و اشتغلت بالتعليم و أشرفت على إدارة المدارس الابتدائية⁴.

¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1854)، ج6، المرجع السابق، ص 204.

² - عبد القادر حلوش ، المرجع السابق، ص73.

³ - محمد الطاهر و علي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830-1954)، المرجع السابق، ص 35

⁴ - المرجع نفسه، ص 56.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

المبحث الثالث: الانعكاسات التاريخية و السياسة

أولا : انعكاساتها على الجانب السياسي :

و ذلك من خلال إحلال الثقافة الفرنسية محل الثقافة العربية بالجزائر حتى ينسى الجزائريون. مرور الزمن العربية و ثقافتهم و استبدالها بثقافة المستعمر ، إذا يقول أحد الفرنسيين بأن: إن مدرستنا الجزائرية لا تعني شيئا إذا لم تنتشر في عقول الشباب أفكارنا تكون اللغة الفرنسية ترجمان ذلك¹.

هكذا شرعت في تطبيق هذه السياسة مبتدئة بمجال التعليم فقد صرح الدوق دومال قائلا : إن فتح المدرسة وسط الأهالي أفضل من فيلق لإقرار السلع البلاد.

إذا نقول لفرنسا بأن الجزائر لن تصبح تابعة لفرنسا إلا بعد أن تصبح اللغة الفرنسية هي اللغة الرسمية و ذلك عن طريق السعي وراء نشر الفرنسية بين الأهالي بالتدرج حتى تأخذ مكانة للغة العربية².

لقد أدت سياسة الفرنسية إلى تغيير في الأسماء و المدن و القرى و الأحياء و الشوارع وأطلقت عليها أسماء فرنسية، مع ذلك حاولت القضاء على الدين و اللغة العربية، و محو الهوية العربية الإسلامية للجزائريين انطلاقا من القضاء على مقوماتها الواحدة بعد الأخرى، من خلال التنصير و التجنيس و محاربة التعليم العربي، و من مظاهر سياسة الفرنسية محاربة اللغة العربية وفرنسية التعليم في جميع مراحل³.

¹ - عبد القادر حلوش، المرجع السابق، ص 110 .

² - جون بول سارتر، مظاهر الإستعمار الفرنسي في الجزائر، بيروت، 1956 ، ص 07.

³ - عبد القادر حلوش، المرجع نفسه، ص 110.

فتحت فرنسا مؤسسات أخرى سميت بالمرور الفرنسية من أجل تقريب الأهالي من سلطة الاحتلال، إذا يقول أحمد التوفيق المدني أن التعليم أيام فرنسا استعماريا لا يعترف باللغة العربية و لا يقيم لوجودها، فاللغة الفرنسية وحدها هي لغة التدريس فهي تحاول تشويه و القضاء على الدين الإسلامي و اللغة العربية¹.

ثانيا : انعكاساتها على المعالم التاريخية

منذ غزو الجزائر بدأ القادة في طمس الرموز الدالة على انتماء الجزائر الحضاري الإسلامي، و العمل على إحلال معالم فرنسية محلها، وقد تمثل ذلك في كل المدن بدون استثناء، فهناك من يذكر أن مدينة الجزائر كانت تبدو في حالة هدم و إعادة البناء².

وشمل الطمس أيضا الأسماء التي أصبحت متداولة مثل شارع يوبا ، شارل الخامس وسمي باب المرسى باب الجهاد باسم باب فرنسا ، ضف إلا ذلك تهديم المنازل و الأسواق و إحداث الساحات مكانها و تحويل الدور و الفيلات إلى مؤسسات عمومية للجيش الفرنسي³.

محاولة فرنسا تشويه التاريخ الجزائري ، فقد ركزت عليه جهود الاحتلال بالمسح والتشويه و بالحرمان الجزائريين من دراستها ، فمن ناحية المسح و التشويه كان الأطفال الجزائريون في المدارس الاحتلال يدسون في مادة التاريخ الذي يعتبر بمثابة شعور الأمة و ذاكرتها ووعيتها بكيانها، و القصد من هذا التشويه و المسح للتاريخ الوطني الجزائري واضح، و هو أن ينشأ أبناء الجزائر الذين يدرسون في مدارس الاحتلال على هذه الصورة⁴.

¹ - أحمد توفيق المدني، جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة، القاهرة، 1963، ص 138.

² - ألكسي دوطوكفيل، نصوص الجزائر في فلسفة الاحتلال و الإستيطان، ت: إبراهيم صحراوي، 2008 - 222.

³ - أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص 71.

⁴ - أحمد طالب الإبراهيمي، من تصفية الإستعمار إلى الثورة الثقافية (1962-1972)، المرجع السابق، ص 55.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

من ناحية حرمان الجزائريين من دراسة تاريخ بلادهم الوطني كانت مقررات التاريخ في التعليم الابتدائي تتوسع كثيرا في تدريس تاريخ فرنسا في جميع العصور ، فالقصد من ذلك هو محاولة فصم أو قطع الصلة التي تربطهم بماضيهم و ماضي بلادهم و مقدساتهم، كي يوجههم الاحتلال الوجهة التي تتفق مع أهدافه العامة في البلاد¹.
تدريس جغرافية الجزائر على نطاق ضيق جدا، فقد كانت هي الأخر تدرس في المدارس الفرنسية باختصار شديد، وفي نفس الوقت يدرس أبناء الجزائر في المدارس الفرنسية الحكومية جغرافية فرنسا لتفصيل واف².

نجد أيضا بعض أفراد النخبة المتعلمة بالفرنسية يحضون بحقوق في حالة مواطنين فرنسين و يتمتعون بالمساواة مع الفرنسيين، و عليه اكتشفت الإدارة الاستعمارية، ما كانت تجهله من دور الزوايا و المساجد في مضاعفة روح المقاومة، و عليه فعمدت على الوسيلة الأخطر و هي الإدماج و ذلك بتقريب الأهالي³.

و عليه نستنتج أن الإدارة الاستعمارية حاربت منذ البداية الدين الإسلامي و اعتباره أساس مقومات الشخصية عن طريق انتهاج سياسة تبشيرية و عن طريق أعماله الإجرامية التي قام بها في حق أهلها قد فتحت على نفسها باب المقاومة التي قادها الشعب الجزائري و الذي أدرك أن ما اخذ بالقوة لا يسترد إلا بالقوة و الذي كان رافضا للوجود الاستعماري ككل، إذا لعبت الجمعية دورا كبيرا، و بروز نخبة مثقفة و علماء جزائريين الذين ساهموا

¹ - تركي رابح، التعليم القومي و الشخصية الجزائرية، المرجع السابق، ص56.

² - تركي رابح، المرجع السابق، ص56.

³ - شارل رويبر وأخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص548.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الإستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية

بطريقة مباشرة وغير مباشرة في الحفاظ على الدين الإسلامي و الأحوال الشخصية و محاولة استرجاع المساجد و تحريرها¹.

¹ - شارل رويبر وأخرون، تاريخ الجزائر المعاصر، المرجع السابق، ص 548.

خاتمة

توصلنا في هذا البحث إلى مجموعة من الاستنتاجات يمكن تلخيصها فيما يلي:

بالرغم من أن معظم المؤرخين وصفوا الوضع الثقافي في الجزائر أثناء العهد العثماني بالركود والجهود، إلا أنها برزت بعض الحواضر التي كانت مراكز للإشعاع العلمي والحضاري لبجاية وقسنطينة و تلمسان و ما زونة .

كان للوقف دورا هاما في الجزائر أثناء العهد العثماني في استمرارية الحياة الثقافية والاجتماعية إذا ضل المورد الأساسي في تقوية حركة التعليم و دور التدريس و تفعيل مهام المؤسسات التعليمية من المساجد و الزوايا، كما أن السلطة الحاكمة لم تتكفل بالإنفاق على التعليم و لم تهتم بالعلم ولا بمؤسساته باستثناء مبادرات فردية لأحد الحكام، حيث لم نجد سياسة تعليمية واضحة إلا ما كان منها ضمن مشاريع الخير التابعة من الواجب الديني و قد ظل التعليم قائما على جهود الأفراد و المؤسسات الوقفية .

يمكن القول أن السياسة العثمانية أعانت على الركود الثقافي فهي لم تكن حاملة لمشروع ثقافي بسبب انشغالهم بالأعمال العسكرية و جمع الأموال و الضرائب، و هذا ما حال دون إعطاء الجانب الحضاري الأولوية مقارنة بالجانب العسكري كما أن عزلة الحكام عن المجتمع الجزائري أدى إلى عدم ارتباطهم الثقافي، فارتباطهم بالمجتمع كان ارتباطا دينيا.

بروز العديد من العلماء و رجال الفكر و الثقافة الذين تولو خدمة العلم و المعرفة في الجزائر أثناء العهد العثماني، و قد خرج صدى هؤلاء العلماء إلى المغرب و المشرق الإسلامي.

رغم عدم اهتمام السلطة العثمانية في الجزائر بالتعليم إلا أنها لم تقف عائقا ضد تشجيع العلم و العلماء لأنها تميزت بالحياد الإيجابي.

عملت الإدارة الفرنسية الاستعمارية منذ احتلالها للجزائر على محاربة الدين الإسلامي واللغة العربية باعتبارهما أساس مقومات الشخصية الجزائرية، ومنها القضاء على الأمة و التنكر لوجودها عن طريق هدم المؤسسات الدينية، و إلحاق شؤون العبادة الإسلامية

بإدارة الاحتلال ذلك عن طريق تطبيقها لمشروعها الثقافي الاستعماري بانتهاجها سياسية تبشيرية رسمية وسياسية تنصيرية، احتلت فرنسا الجزائر وادعت بأنها جاءت لنشر الحضارة، فارتكبت جرائم في حق الشعب و استحوذت على الأوقاف المملوءة للمساجد و التعليم و عملت على تدهور الكتاتيب و المدارس و خربت الزوايا و أثقلت رجال العلم و قللت و هجرت البعض الآخر .

لما كانت اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية، فقد ركز الاحتلال حربه عليها لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الثقافة العربية و الشخصية الجزائرية بسهولة و يسر .

وتماشيا مع هذه السياسة قام بمطاردة اللغة العربية في كل مجالات الحياة في الجزائر، فأبعدها أولا عن الإدارة حيث أصبحت اللغة الفرنسية هي وحدها لغة العمل الرسمية، ماعدا محاكم الأحوال الشخصية الاسلامية حيث بقي العمل فيها يجرى باللغة العربية .

وفضلا عن ذلك حاول الاحتلال أن يعزز عملية غزوه العسكري للجزائر بغزو ثقافي و فكري سعى من ورائهما إلى محاولة تحطيم الشخصية القومية للشعب الجزائري حتى يجرده من أهم و أخطر أسلحة المقاومة المعنوية.

عمل الاستعمار على إيجاد بديل للتعليم الجزائري و هو التعليم الفرنسي، وكانت نسبة الأطفال الجزائريين الذين التحقوا بالمدارس الفرنسية قليل، بالإضافة إلى محدودية و ضعف الوسائل، و هنا اتضح موقف الجزائريين بتمسكهم بالتعليم الحر في الكتاتيب و المدارس القرآنية و المساجد، رغم اعتبار البعض أنه تعليم عقيم و لا يتمكن من الصمود في وجه التعليم الجديد الفرنسي الحديث، إلا أن هذا التعليم العربي يعتبر استمرار للأصالة و التمسك بمقومات الشخصية الوطنية و هي الإسلام، اللغة العربية و هنا نجدهم طالبو بضرورة الإصلاح و الاهتمام بتعليم الجزائريين و انصافهم مثلهم مثل الفرنسيين إلى المستويات العليا .

اضافة الى رفض الجزائريين تجاه المنصرون ووجودهم في توسيخ المبادئ المسيحية وهذا نظرا للحصانة الدينية و الحضارية للمجتمع الجزائري.

السياسة التعليمية بمفهومها الصحيح شملت الأوروبيين دون الجزائريين، فالمدارس والمعاهد و الثانويات و الجامعات لم تأسس للجزائريين و انما للأوروبيين .

الملاحق

الملحق رقم (01) :

جدول يوضح المساجد التي تحولت عن اغراضها من سنة 1830 الى سنة 1843 م.

المسجد	مصيره
مسجد خير الدين	حول إلى مركز حراسة سنة 1830 م.
مسجد ميزو مورطو	حول إلى ملحق للمستشفى العسكري سنة 1830 م.
مسجد ستي مريم	حول إلى إدارة عسكرية سنة 1830 م.
مسجد الشماعين	حول إلى مقر إداري عسكري سنة 1830 م.
مسجد خضر باشا	حول إلى ملحق للمستشفى العسكري سنة 1831 م.
مسجد جامع القشاش	حول إلى مخزن لأسرة العسكر سنة 1831 م.
مسجد كنتشاوة	حول إلى كنيسة سنة 1832 م.
مسجد ساباط الذهب	حول إلى مستودع لسيارة الإسعاف سنة 1835 م.
مسجد الجنائز	منح للمصالح المدنية سنة 1836 م.
مسجد كوشة بن السمان	حول إلى مستودع لآلات التعذيب سنة 1836 م.
مسجد ساباط الحوت	حول إلى مخزن الزرع سنة 1838 م.
مسجد القصبة البراني	حول إلى كنيسة سنة 1839 م.
مسجد سيدي الرحبي	حول إلى مخزن للصيدلية العسكرية سنة 1840 م.
جامع علي بتشين	حول إلى كنيسة سنة 1843 م.

المصدر: مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الامة، الجزائر.

الملحق رقم (02): جدول يوضح المساجد التي هدمت من سنة 1830 إلى سنة 1868

المسجد	مصيره
جامع السيدة	هدم سنة 1830 م.
مسجد جامع السلطان	هدم سنة 1832 م.
جامع ميزومورطو	هدم سنة 1836 م.
جامع كوشة بن سمان	هدم سنة 1836 م.
مسجد سوق اللوح	هدم سنة 1836 م.
جامع خضر باشا	هدم سنة 1836 م.
مسجد مصطفى باشا	هدم سنة 1837 م.
مسجد ستي مريم	هدم سنة 1837 م.
مسجد الركروك	هدم سنة 1839 م.
مسجد الكبابضية	هدم سنة 1839 م.
مسجد حمام يطو	هدم سنة 1840 م.
مسجد ساباط الذهب	هدم سنة 1843 م.
مسجد الأخضر	هدم سنة 1844 م.
مسجد بن جاور علي	هدم سنة 1848 م.
مسجد ساباط العرص	هدم سنة 1848 م.
جامع البلاط	هدم سنة 1850 م.
مسجد عبد الرحيم	هدم سنة 1850 م.
جامع البلاد	هدم سنة 1850 م.
مسجد الحمامات	هدم سنة 1850 م.
مسجد سيدي الهدى	هدم سنة 1855 م.
مسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي	هدم سنة 1859 م.
مسجد المصلى	هدم سنة 1862 م.
مسجد عبدي باشا	هدم سنة 1868 م.

المصدر: مصطفى بن حموش، مساجد مدينة الجزائر وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر.

الملحق رقم (03) :

جدول يوضح المساجد التي نقلت ملكيتها من سنة 1836 إلى سنة 1849م.

المسجد	مصيره
مسجد القبائل	نقلت ملكيته سنة 1836 م.
مسجد السلطان	نقلت ملكيته سنة 1838 م.
مسجد مسيد الدالية	نقلت ملكيته سنة 1839 م.
مسجد الشطون	نقلت ملكيته سنة 1840 م.
مسجد الملياني	نقلت ملكيته سنة 1840 م.
مسجد كوشة بولعبة	نقلت ملكيته سنة 1841 م.
مسجد زنقة لا لاهم	نقلت ملكيته سنة 1841 م.
مسجد سوق الجمعة	نقلت ملكيته سنة 1841 م.
مسجد ابن فارس	نقلت ملكيته سنة 1842 م.
مسجد حرب بن ميمون	نقلت ملكيته سنة 1842 م.
مسجد سيدي فليح	نقلت ملكيته سنة 1842 م.
مسجد علي خوجة	نقلت ملكيته سنة 1844 م.
جامع المعلق	نقلت ملكيته سنة 1844 م.
جامع أحمد المشدالي	نقلت ملكيته سنة 1844 م.
جامع الساباط الأحمر	نقلت ملكيته سنة 1849 م.

المصدر: ليليان مسلم، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1984م.

الملحق رقم (04) :

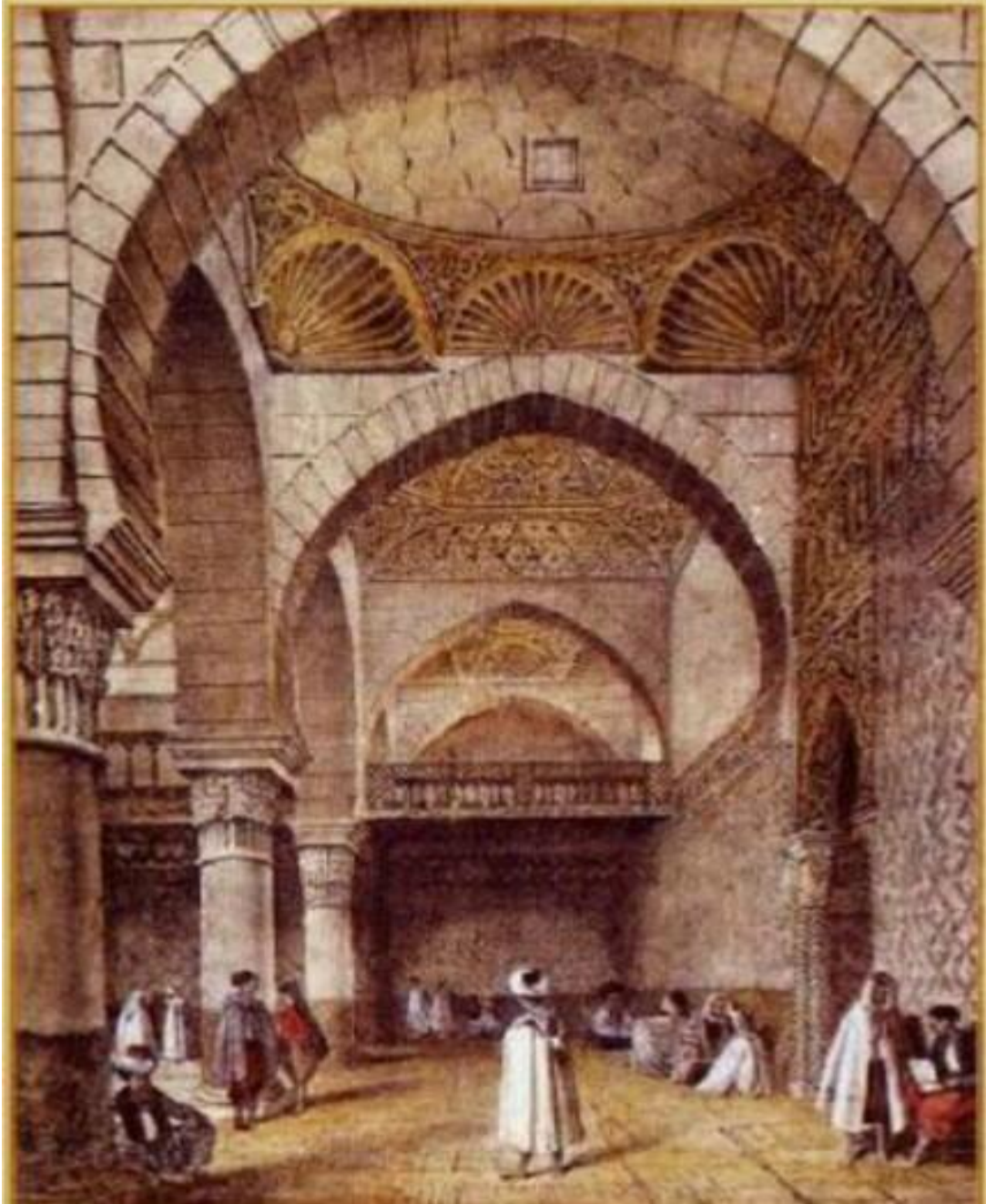
جدول يوضح المساجد التي تم بيعها من سنة 1836 إلى سنة 1857م.

المسجد	مصيره
مسجد السوق الكبير	بيع سنة 1836 م.
مسجد سيدي الرحبي	بيع سنة 1840 م.
مسجد بن عشبة	بيع سنة 1840 م.
مسجد سيدي صباح	بيع سنة 1841 م.
مسجد سوق الكتان	بيع سنة 1843 م.
مسجد عين الشاه الحسين	بيع سنة 1844 م.
مسجد عين العطش	بيع سنة 1853 م.
مسجد دار القاضي	بيع سنة 1857 م.

المصدر: ليليان مسلم، الهندسة المعمارية وتعمير المدن، ديوان رياض الفتح، الجزائر، 1984م.

الملحق رقم (05) :

داخل جامع كتشاوة.



المصدر: سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

الملحق رقم (06) :

الجامع الكبير بتلمسان.



المصدر : نصر الدين براهيم، تلمسان الذاكرة، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، ط2، 2010م.

الملحق رقم (07) :

الجامع الكبير بالعاصمة.



المصدر: سعاد فويال، المساجد الأثرية لمدينة الجزائر، دار المعرفة، الجزائر، 2010م.

قائمة الميبلينو خرافيا

- القرآن الكريم .

أولا : المصادر

1. ألكسي دوطو كفيل، نصوص الجزائر في الفلسفة الاحتلال والستيطان، ت: ابراهيم صحراوي، 2008.
2. خوجة حمدان بن عثمان، المرأة، تقديم وتعريف: محمد العربي الزبيري، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر، الجزائر، 2008.
3. الفكون عبد الكريم، منشورات الهداية في كشف حال من ادعى العلم والولاية، ت: أبو القاسم سعد الله، دار الغرب الإسلامي، الجزائر، 1987م.
4. فرحات عباس، ليل الاستعمار، ط 1، دار القصة، 2005.
5. أبوراس الناصري، عجائب الأسفار و لطائف الأخبار، ت: محمد بو ركة محمد، ج1، الجزائر، 2012، ص 45 .

ثانيا: المراجع.

6. سارتر جون بول، مظاهر الاستعمار الفرنسي في الجزائر ، بيروت، 1956.
7. أجرون شارل روبير، تاريخ الجزائر المعاصر من انتفاضة 1871م إلى اندلاع حرب التحرير 1954، دار الأمة، 2008.
8. سعد الله أبو القاسم شيخ الاسلام عبد الكريم الفكون الداعية، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1986.
9. المدني أحمد توفيق، جغرافية القطر الجزائري، مكتبة النهضة، القاهرة 1963.
10. محفوظ قداش، جزائر الجزائريين (1830-1954)، ت: محمد المعراجي، ط خ، 2008.
11. سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي (1500-1830) ج 1 ، ج 2، ج 3، ج 4، ج 5، ج 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط 1، 1998م.
12. بوعزيز يحيى ، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830-1954).
أبحاث آراء في تاريخ الجزائر المعاصر (1830 - 1900)، ج 1، ج 2، دار -
الرائد، ط خ، 2009
13. حلوش عبد القادر، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، دار الأمة، 2010.
14. مريوش أحمد، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، ج 1، مؤسسة
الكنوز الحكمة، ط 1، الجزائر، 2013.
15. رابح تركي، التعليم القومي والشخصية الجزائرية (1931 - 1956)، ط 2،
الجزائر، 1981.
16. بوعزة بوضرساية، سياسة فرنسا البربرية في الجزائر (1830 - 1930)،
وانعكاساتها على المغرب العربي، دار الحكمة، الجزائر، 2010.

17. إبراهيمي أحمد طالب ، من تصفية الاستعمار الى الثورة الثقافية (1962 - 1972)، ت: حنفي بن عيسى ، الجزائر، 1972.
18. بقطاش خديجة، الحركة التبشيرية الفرنسية في الجزائر(1830 - 1871)، منشورات دحلب، 2007.
19. جغلول عبد القادر ، تاريخ الجزائر الحديث، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
20. فر كوس صالح، محاضرة في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر (1830 - 1925)، مديرية النشر، جامعة قلمة، 2010.
21. بوحوش عمار، تاريخ السياسي للجزائريين من البداية لغاية 1962، ط 1، دار الغرب الاسلامي، بيروت، لبنان، 1997.
22. لونيبي إبراهيم ، بحوث في تاريخ الاجتماعي والثقافي للجزائر ابان الاحتلال الفرنسي، دار الهومة، الجزائر، 2013.
23. التميمي عبد الجليل ، بحوث ووثائق في التاريخ المغربي، الجزائر، تونس، ليبيا (1816 - 1871)، منشورات المركز الدراسات والبحوث عن الولايات العربية في العهد العثماني، 1985.
24. شالر وليام ، مذكرات شالر قنصل أمريكا في الجزائر(1816 - 1824)، ت: إسماعيل العربي، 1982.
25. سعدي عثمان، الجزائر في تاريخ، دار الأمة، الجزائر، 2013.
26. يحي بوعزيز، موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعربي، ج 1، دار الهدى، الجزائر، 2009.
27. سعيدوني ناصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي تراجم المؤرخين والرحالة والجغرافيين.
28. الجيلالي عبد الرحمن بن محمد ، تاريخ الجزائر العام، ج 4، دار الأمة، 2014.

29. صحي حسان، النظام التربوي الاستعماري في الجزائر (1830 - 1962)، ط 1، الجزائر، 2005.
30. بن ميمون محمد الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، ت: محمد بن عبد الكريم، الجزائر، 1792.
31. بن حموش مصطفى، مساجد مدينة الجزائر وزواياها وأضرحتها في العهد العثماني، دار الأمة، الجزائر، 2010.
32. الإبراهيمي البشير، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار الكتاب، الجزائر.
33. محساس أحمد، الحقائق الاستعمارية والمقاومة، دار المعرفة، 2007.
34. عمورة عمار، الجزائر بوابة التاريخ، دار المعرفة، الجزائر، 2009.
35. قداش محفوظ، جزائر الجزائريين (1830 - 1954)، ت: محمد المعراجي، ط خ، 2008.
36. مزيان سعيد، النشاط التنصيري للكاردينال لافيحري في الجزائر (1867 - 1892)، دار النشر للطباعة، ط 1، 2009.
37. يسلي مقران، الحركة الاصلاحية في منطقة القبائل (1920 - 1945)، دار الأمل للجزائر، 2007.
38. بوعزيز يحي، سياسة التسلط الاستعماري والحركة الوطنية (1830 - 1954).
39. قنان جمال، معاهدات الجزائر مع فرنسا (1619 - 1830)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1967.
40. طاهر محمد و علي، التعليم التبشيري في الجزائر (1830 - 1940).
41. دوطو كفيل ألكسي، نصوص الجزائر في الفلسفة الاحتلال والستيطان، ت: ابراهيم صحراوي، 2008.

42. أبو راس الناصري، عجائب والأسفار ولطائف الأخبار، ت: محمد بوركية محمد، ج 1، الجزائر، 2012.

43. كعاك عثمان، مراكز الثقافة في الغرب من القرن 16 الى 19، معهد الدراسات العالية، 1958.

44. بلاح البشير، العربي منور، تاريخ الجزائر المعاصر 1830-1989، دار المعرفة، ج 2، 2010،

المراجع بالفرنسية :

45. yvonne Turin, Affrontement culturel dans l'Algerie colonial 1830-1880 , Houma , Alger 2007 .

المذكرات والمجلات:

46. مريوش أحمد ، الحركة الطلابية ودورها في الحركة الوطنية وثورة التحرير، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه، جامعة الجزائر، 2007.
47. الدي رابح، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر و دور جمعية العلماء المسلمين في الرد عليها، 1830-1962 دراسة نظرية تحليلية , أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علوم التربية، 2010 - 2011 .
48. لزرق فاطمة و قوادري عائشة، التعليم في الجزائر في ظل الاحتلال الفرنسي 1830-1870، مذكرة لنيل شهادة الماستر في تاريخ المغرب الحديث و المعاصر 2014-2015 جامعة تيارت .

المقالات:

49. المجاهبات الثقافية في الجزائر المستعمرة 1830-1880 ، مجلة الأصالة، العدد 6، وزارة التعليم الأصلي و الشؤون الدينية، الجزائر 1972 .
50. مريوش أحمد، جمعية العلماء المسلمين، ودورها في الحركة الوطنية، مجلة الرؤية، العدد 2 جوان 1996 .
51. الإبراهيمي محمد البشير: " مجمع اللغة العربية " العدد 21، القاهرة 1966 .

فهرس الموضوعات

- البسمة.

- اهداء.

الشكر و العرفان.

- مقدمة..... أ

الفصل الأول: الأوضاع الثقافية في الجزائر قبيل الاحتلال الفرنسي.

- المبحث الأول: أوضاع المؤسسات التعليمية في الجزائر.....7- 22

- المبحث الثاني: دور العلماء والوقف في تنشيط الحياة الثقافية.....23 - 26

الفصل الثاني: المشروع الثقافي اللغوي الاستعماري في الجزائر.

- المبحث الأول: سياسة القضاء على المقومات التعليمية بالجزائر.....28 - 40

- المبحث الثاني: الأهداف والوسائل التي اتبعتها فرنسا لتنفيذ سياستها التعليمية

بالجزائر.....41 - 46.

الفصل الثالث: المقاومة الثقافية للمشروع الاستعماري الفرنسي وانعكاساته على الهوية الوطنية.

- المبحث الأول: المقاومة الثقافية للمشروع الاستعماري في الجزائر.....58 - 73

- المبحث الثاني: انعكاساته على الهوية الوطنية الجزائرية.....74 - 81

- خاتمة.....82 - 85

- الملاحق.....86 - 93

100 - 94..... قائمة البيليوغرافيا -

103 - 101..... فهرس الموضوعات -